دين الوحي

فصل المقال بين المتيقّن وقيل وقال

د. عبد الله بن صالح الصّامي



سبحان الله تعظيمًا وتقديسًا
وله الحمد وحده

كتبتُ هذه الأسطر
ابتغاء وجه الله تعالى
ودرءًا للتشدّد والتطرف
وسعيًا للاعتدال.

مقدمة

ما خلا كتاب الله، الذي تكفل الله بحفظه بنص محكم،

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ سُورَةُ الحِجْرِ ٩

وهذا الذكر هو

﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوۡعِظَةٌ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ١٣٨

وهو ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾
سُورَةُ فُصِّلَتْ ٣

و ﴿وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً﴾ سُورَةُ الأَنْعَامِ ١٥٤

و ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ﴾ سُورَةُ الأَنْعَامِ ٣٨

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ ٨٩

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ
عِلۡمٍ هُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ ٥٢

عدا ذلك من أحاديث ومرويات وآثار وأخبار وكتابات، فهي من صنع بشر، من صحابة وتابعين وفقهاء ومحدثين ومفسرين ومؤرخين، غير معصومين، هؤلاء (يؤخذ منهم ويُردّ...) وهؤلاء هم الموتى الذين صنعوا هذا الإرث الضخم والكم الهائل من الروايات التي تحوّلت إلى ديانات، فاختلفوا في كل شيء وعلى كل شيء وتركوا من ورائهم إرثا، لا تعرف من أين تدخل إليه ولا كيف تخرج منه. و كل كلام غير كلام اللّٰه، كلام أموات و الكلام الوحيد الذي لا يموت كلام الله الحي وكلامه لا يموت لأنه دينه وشرعه لخلقه.

تمهيد



السلفية استحضار الماضي إلى الحاضر

وُلـد «ديـن الموتـى» ولا زال حيًـا، بجهـود أحيـاء - أمـوات...- وعمّـر مئـات السـنين، بـل قرونًـا طـوالًا، دون أن تحيـد عنـه - مقـدار شـبر- عقـول، تجـاوزت، ولا تـزال، الحديـث القائـل، «إن اللـه يبعـث لهـذه الأمـة علـى رأس كل مائـة سـنة مـن يجـدّد لهـا دينهـا». من رحِـم المذهـب السـلفي التكفيـري، وُلـد «ديـن الموتـى». ولـذا فـإن الدرايـة بهـذا المذهـب وبتياراتـه المختلفـة ومعرفـة أصولـه النظريـة، أمـر ضـروري.

بدايــة، نســتطيع القــول إن الاتجــاه الســلفي تأسّــس علــى يــد أحمــد بــن حنبــل (ت.241هـ) وتأصّــل علــى يــد ابــن تيميــة (ت. 728هـ) ثــم جــاء بعــده محمــد عبدالوهــاب (ت.1207) ووضعــه موضــع التطبيــق.

إذًا، فالعامــل الأســاس لبــروز الفكــر التكفيــري الدينــي فــي عصرنــا الحاضــر، ليــس هــو الفكــر المتطــرّف لفرقــة الخــوارج كمــا يحــاول بعــض الوهابيين تســويقه مــن خــلال إعــلان البــراءة منهــم، بــل هــو آراء وأفــكار ابــن تيميــة بالدرجــة الأســاس باعتبــاره الملهــم الفكــري الأول للجماعــات الســلفية وقادتهــا عمومًــا، أمثــال محمَّــد بــن عبدالوهــاب (ت.1207هـ)، وبعــض قــادة الســلفية المتأخريــن أمثــال ســيد قطــب (ت. 1966م)، وعبــد الأعلى المــودودي (ت. 1388هـ)، ونظرائهــم.

ولعــل الســرّ فــي ذلك التلازم بيــن تبنّي الفكر الســلفي وظاهرة التكفيــر أن هــذا الفكــر خلــق الجــو المناســب لاعتنــاق فكــرة قداســة الماضــي ومثاليتــه ممــا يحــول دون كشــف عيــوب التــراث أو التجــرؤ علــى رمــوزه وأســانيده، بــل واعتبــار ذلــك مسـلمات ومعطيــات قطعيــة يُعــدّ الخــروج عنهــا ونقدهــا خروجًــا عــن الإســلام نفســه. كمــا أنهــا تخلــق جــوًا خانقــا للعلــم والفكــر الدينــي بداعــي تلــك القداســة المفتعلــة.

لقد أدّى المنهج السلفي هذا، إلى خلق الكثير من الضرورات والمشهورات الدينيّة التي لا أصل لها، والتي ترتبت عليها أحكام وآثار خطيرة وصلت إلى حد تكفير منكرها، وتجويز قتله.

وبعد... فإنّ السلفية طريقة في التفكير ترى أنّ الدين الحق يتمثل بالعودة للقرون الماضية، وإعادة إحيائها، واتباع بل وتقديس منهج السلف الصالح عقيدةً، وقولًا، وعملًا والتقيد بآرائهم في فهم الدين، ورفض الاجتهاد ومنع التأويل وتقديم ظاهر النص على العقل.

ويشمل السلف الصالح - حسب الفهم السلفي - الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من أئمة الحديث الذين عاشوا فيما قبل القرن الخامس، وبالتحديد القرون، الثاني والثالث والرابع، مستندين إلى حديث الرسول: (خير القرون الثلاثة...)، وأضفوا عليهم جميع الفضائل، واعتبروا العودة إليهم وسلوك نهجهم كفيل بحلّ كافة المشكلات ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا.

لقد مثَّل هذا النهج المرجعية الفكرية والعقائدية لجميع التيارات والاتجاهات السلفية و عمد أصحابه إلى تضخيم مرجعية السنة النبوية على حساب النص القرآني واعتمدوا ظاهر النص الديني والتعامل الحَرْفي معه،

والجمود عليه ورفض التأويل واعتمدوا اعتمادا مفرطا على النقل، وأقوال الصحابة، وذم علم الكلام والنهي عنه، ورفض التصوف ونعت المتصوفة بالضلالة وابتداع السمع والطاعة لولي الأمر، وحرمة الخروج على السلطان المسلم. كما أسسوا للتبديع والتضليل والتكفير لعموم المسلمين المخالفين والخصوم، و لجأوا إلى لغة العنف، وإرهاب المخالفين، واستخدموا القوة في نشر عقائدهم وآراءهم.

بدراستنا للتراث الديني والفكري للتيارات السلفية يمكننا التوصل إلى عدة أصول فكرية ودينية مشتركة، من أهمها وأكثرها شيوعًا:

- الاعتماد على الظاهر في فهم النصوص القرآنية.

وقد أحدث هذا النهج تطرفًا شديدًا من خلال التمسّك الحرفي بظاهر الآيات الداعية للجهاد والحرب والقتال، في وقت شرع القتال بالأساس لرد ودفع العدوان. وكذا الأمر بالنسبة لآيات التوحيد والشرك حيث أخذ بظاهرها دون استنطاق دلالاتها أو مراعاة مقاصدها.

وكان من نتائج اعتبار العبادة من أصول توحيد الألوهية نشوء ما يسمى هيئة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، كسلطة تتمتع بصلاحيات تشريعية وقضائية

وتنفيذية ومهمات وظيفية كالإجبار على الصلاة. وقد تقلص كل هذا في الوقت الحالي... كما قادهم هذا النهج وهذا الجمود إلى قولهم بالتجسيم والتشبيه في موضوع الصفات الإلهية حتى اعتبرها ابن حزم الأندلسي مدخلا لطريق ينتهي بالتشبيه، كما هو الحال في جميع آيات التشبيه، والتي لا يُمكن حملها على ظواهرها، وإنما لابدَّ من تأويلها أو الركون إلى القرائن العقلية وبيانات السنة المتيقنة الثابتة أو القطعية.

- تقديس الماضين والتقيّد بآرائهم في فهم الدين، و يرى أن الماضي هو الأفضل، ولهذا سمّيت القرون الأولى بالقرون المفضّلة. حتى رووا عن النبي ﷺ أنه قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

فالسلَف - في فهمهم- هو ديدن الخلف وهو النطاق الذي ينطلق الخلف منه لمواجهة الحاضر وصنع المستقبل بل والمحور الذي يجب أن يعود الحاضر إليه، ليتطابق المستقبلُ مع الماضي، ولذا يرى ابن تيمية بأن السلف هم خير من عاش في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام، وهم أولى من غيرهم بالبيان لكل مشكلة، وهم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وتابعيهم.

إنّ السلف أنفسهم لم يكونوا ينظرون إلى ما يصدر عنهم من أقوال أو أفعال أو تصرفات هذه النظرة القدسية الجامدة التي تقتضيهم أن يسمّروها بمسامير الخلود والثبات، ثم إن حديث الخيرة لا يمكن الاحتجاج به في إثبات مسألة عقدية، لأنه خبر آحاد.

أدّى هذا المنهج إلى غياب أو ضعف الاجتهاد الكلامي عمومًا، وشيوع التقليد الأعمى في الدين، بل وشيوع التقليد في أصول الدّين، والأخذ بالروايات الضعيفة الموجبة - في الكثير من الأحيان - للتطرف والتكفير للآخر المخالف، وانتشار البدع والخرافات أيضًا، لأن اعتناق فكرة قداسة الماضي ومثاليته يحول دون كشف عيوب ذلك التراث الديني أو التجرؤ على رموزه وأسانيده، بل واعتبارها مسلمات ومعطيات يعد الخروج عنها ونقدها خروجًا عن الإسلام نفسه.

كما أدّى إلى ابتداع الكثير من الضرورات والمشهورات الدينيّة التي لا أصل لها، والتي ترتب عليها أحكام وآثار خطيرة قد تصل إلى حد تكفير منكرها، وتجويز قتله. ومن صور ذلك اعتبار الاعتقاد بعدم عدالة بعض الصحابة، من أنواع الكفر الصريح.

إنّ التقليد الأعمى للسلف والقدماء كان السدّ المنيع أمام قبول دعوات الأنبياء والأولياء والمصلحين، والآيات في ذلك كثيرة ومنها

﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾
سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ ١٠

و ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾
سُورَةُ هُودٍ ٨٧

والتاريخ يعيد نفسه فبعد أن كان التقليد الأعمى مانعًا (فيما مضى) لاتباع وقبول الأديان السماوية أصبح الآن مانعًا لفهمها فهمًا صحيحًا.

تقديم ظاهر النص على العقل، ورفض التأويل، بل وحتى رفض وجود المجاز في القرآن، واللاعقلانية في فهم النص الديني عمومًا، وهذه سمة بارزة في الفكر السلفي عمومًا، إذ يُلاحظ أن لديهم قلقًا منهجيًا ومعرفيًّا مهيمنًا حول أصالة العقل، أو أصالة النص، وكيفية التوفيق والجمع بينهما، فهل العقل في خدمة النص، أم لابد أن يخضع العقل للنص، ويُفهم في ضوء معطياته القطعية؟ انقسم المسلمون - سنّة وشيعة - حول المصدر الأساس لمعارف الإسلام وأحكامه، بين من يقول إن القرآن والسنة هما مصدر التشريع واتجاه آخر يقول بالقرآن دون السنة.

ومنهم من اكتفى بظاهر الآيات غير مبال بأخواتها من الآيات ومن سياقها ومداليلها وقرائنها العقلية وغيرها، ومنهم من اشترط ذلك وتحرى المقاصد والمداليل والقرائن، فكان المنحى الأول هو الزلة الأولى للخروج عن الفهم الصحيح والدخول في حيز الفهم الخاطئ للآيات القرآنية، والقائم على عدّة أصول يجمعها أو تجتمع عند أصل متين عندهم، وهو الوقوف على ظواهر النصّ، وعدم تعدّيه مطلقًا، وأنَّ مخالفته موجبة للكفر والضلال.

• الفهم المباشر للنص (منهج الاتباع): إن السلفية عمومًا ترى وجوب الرجوع المباشر للنص الديني. ومنشأ هذا الأصل عندهم هو فتح باب الاجتهاد من قبل ابن تيمية شكليًا ولكل مسلم من خلال التزامه بضرورة الرجوع إلى القرآن والسنة وسيرة المسلمين الأوائل بشكل مباشر، وتحريمه التقليد في الدين بدعوى عدم الحاجة إلى الوسائط ورؤساء المذاهب، وزعم أن الاجتهاد من دون اعتماد فهم السلف للدين هو من الضلال المحض.

وفي الحقيقة فإن عملية الفهم للنص الديني في ضوء فهم السلف هي في حقيقتها اتباع لقراءة السلف للنص الديني.

وقـد نتـج عـن هـذا الرجـوع إلـى الماضـي - ومـن دون اعتمـاد قواعـد نظريـة واضحـة تحكم عمليـة الفهم والتفسـير- نـوع من الفوضـى العارمـة ممـا فسـح ويفسـح المجـال أيضـا لشـيوع الفهـم غيـر المنهجـي بـل الالتـزام الحَرْفـي بأدلـة الشـرع بعيـدًا عـن مقاصـد الشـارع الأمـر الـذي بـدوره، أدّى إلـى توالـد العنـف والتطـرف الدينـي والإرهـاب الدمـوي مـع الآخـر المختلـف. أضـف إلـى ذلـك، أن وجـود هـذا الفاصـل الزمنـي الكبيـر عـن عصـر النـص، و بـروز الكثيـر مـن الأسـئلة العقليـة والشـبهات المختلفـة، أوصـل إلـى الجمـود الفكـري، وإلـى الفهـم السـطحي للآيـات والمعـارف القرآنيـة نتيجـة حصـر دائـرة الفهـم بالمفـردات والـذي هـو فـي واقـع الأمـر سدّ لطريـق فهـم مـراد اللـه تعالـى ومقاصـده.

إنّ غلـق بـاب الاجتهـاد واعتمـاد منهـج النقـل والاتبـاع لفهـم السـلف الصالـح جعـل الديـن بمعظمـه قائمًـا علـى الروايـة والحديـث ممـا سيقود حتمًـا إلـى تقييـد فهـم القـرآن مـن جهـة الزمـان والمـكان وبالتالـي تجاهـل مصلحـة المجتمعـات المتغيـرة والتـي جـاء القـرآن لعـلاج أوضاعهـا ومشـاكلها.

في تعريف المصطلحات

حسب المنهج الكلاسيكي المعروف تاريخيًا

تعريفات لمصطلحات لابد من عرضها، وبالتالي ليكون أمر التداول فيها واضحًا حين نتعرض لها بالنقد فيما بعد. وهي تعريفات كلاسيكية امتلأت بها كتب التراث الإسلامي ودارت حولها رحى حرب كلامية عظيمة الشأن.

السُّنة

هي ما صدر عن النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير مما يراد به التشريع، فيخرج بذلك ما صدر من الأمور الدنيوية والجِبلية التي لا دخل لها بالأمور الدينية، ولا صلة لها بالوحي.

وهـي بمعناهـا العـام عنـد المحدثيـن تشـمل الواجـب والمنـدوب. وفـي اصطـلاح الفقهـاء تختـصّ بالمنـدوب ومـا دون الواجـب. ثـم هـي كل مـا أثـر عـن النبـي صلـى اللـه عليـه وسـلم غيـر القـرآن الكريـم، مـن قـول، أو فعـل، أو تقريـر، ممـا يصلـح أن يكـون دليـلًا لحكـم شـرعي.

وأمـا القـول، فهـو أحاديثـه صلـى اللـه عليـه وسـلم التـي قالهـا فـي مختلـف الأغـراض والمناسـبات، يترتـب عليـه حكـم شـرعي.

كمـا يُقصـدَ بالسُـنّة عنـد البعـض، الصفـات الخَلقيّـة أو الخُلقيّـة، و أنّهـا مـا يُقابـل الفـرض أو الواجـب مـن أمـور مُستحبّة أو مندوبـة أي أنَّ النبـيَّ عليـهِ الصـلاة والسـلام كانَ يفعلُ هـذهِ الأمـور علـى سبيل التحبّـب والنـدب لهـا، وليـسَ علـى سـبيل الفـرض والإلـزام.

وقسـمها آخـرون إلـى: السـنة الواقعيـة التـي تسـمعها أوتراهـا بعينـك. والسـنة الحاكيـة وهـي سـنة احتماليـة، وهـي المتمثلـة بـ (فـلان عـن فـلان وقيـل وقالـوا) وهـي روايـة أو خبـر يـروى.

الحديث

هو في اللغة، الكلام الذي يتحدث به، وينقل بالصوت والكتابة.

وفي الاصطلاح، هو مرادف للسنّة عند جمهور العلماء وذهب قوم إلى اختصاصه بما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول دون الفعل والتقرير.

الخبر

فهو لغة مرادف للحديث فهما يدلان على شيء واحد ولكن شاع بين كثير من العلماء تخصيص الحديث بما صدر عنه صلى الله عليه وسلم وجعل الخبر أعمّ منه، بأن يشمل ما صدر عنه وما صدر عن غيره، فبينهما عموم وخصوص فكل حديث خبر وليس كل خبر حديثا ولذلك سمّي المشتغل بالسنّة محدثًا والمشتغل بالتاريخ وأخبار الناس إخباريًا وذهب بعضهم إلى جعل الخبر مرادفًا للحديث والسنّة.

الأثر

هو المنقول عن السابقين فيكون كالخبر يشمل في أصله ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم وما صدر عن غيره، وبعضهم اصطلح على تخصيصه بما صدر عن السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

السند

هو الطريق الموصل إلى المتن، أي الرواة الذين نقلوا المتن وأدّوه، ابتداءًا من الراوي المتأخر وانتهاءًا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

المتن

هو ألفاظ الحديث التي تقوم بها المعاني، وقد امتنع العلماء عن قبول أي حديث ما لم يكن له سند (إسناد) وذلك بسبب انتشار الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث المتواتر وحديث الآحاد

الحديث المتواتر في اصطلاح علم الحديث يعني الحديث الذي بلغت سلسلة رواته إلى النبي ﷺ بحدٍّ من الكثرة في جميع الطبقات، بحيث يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب في نسبة الحديث إليه فهذا الخبر يوجب العلم واليقين بصدور الحديث. ويقابله خبر الآحاد وهو الحديث الذي لم يصل إلى حد التواتر. والتواتر على نوعين: التواتر اللفظي والتواتر المعنوي.

التواتر اللفظي

ما إذا اتّحدت ألفاظ المخبرين في خبرهم، وبعبارة أخرى: التواتر اللفظي هو اتفاق الناقلين الذين يمتنع اجتماعهم على الكذب عادة في نقل ألفاظ الخبر وعباراته، كتواتر نقلهم (إنما الأعمال بالنيّات) أو قوله (صلّوا كما رأيتموني أصلي).

التواتر المعنوي

وهو اتفاقهم على نقل مضمون واحد وإن اختلفوا في نقل الألفاظ، سواء كانت دلالة ألفاظهم على المضمون بالمطابقة أو بالتضمن أو بالالتزام.

والتواتر المعنوي هو أكثر الأنواع المتواتر قياسًا بالتواتر اللفظي وإنّ غالب المعارف الدينية وجزاء العبادات قد نقلت لنا من خلال هذا النوع من التواتر كعدد الركعات ومبطلات الصيام. وأركان الحج والزكاة و...

الكتابة

قال في اللسان: (كتب الشيء كتْبًا وكتابًا وكتابة وكتبه خَطَّه فكتابة الشيء خطّه).

التدوين

قال في اللسان: (والديوان مجتمع الصحف). (ودوّنه تدوينًا جمعَه، وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة في ديوان ليحفظها).

التصنيف

قال في اللسان: والتصنيف تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنّف الشيء ميّز بعضه من بعض، وتصنيف الشيء جعله أصنافًا. وعليه فالتصنيف تمييز الجزئيات، كأن يميز المصنّف الصواب من الخطأ والأهم من المهم. وهذا تعريف موجز للكتابة والتدوين والتصنيف يتضح منه الفرق بين كلٍّ منها.

بناءًا على ما تقدم، فالقول إن السنّة دُوّنت في نهاية القرن الأول، لا يستفاد منه أنها لم تُكن مكتوبة فيما سبق، بل يفيد أنها كانت مكتوبة لكنها لم تصل إلى درجة التدوين.

مظاهر وإشكالات الروايات

في كتابة وجمع القرآن

إنّ الروايات الكثيرة التي خاض فيها السلف وقدّموا أجوبتهم عنها في حدود الموروث القديم، والمرتبط بزمانهم الثقافي والاجتماعي والحضاري العام، يقع خارج نطاق زماننا المطبوع بروح التجريد في البحث، والتحفظ والشك في المواطن التي وجدوا فيها ثقة واطمئنانا.

والحقيقة أنّ ما ترويه كتبهم حول مسألة جمع القرآن يطرح عدّة إشكالات، ليس فقط حول رحيل النبي ﷺ دون جمع كتابه و حول مسألة حفظ القرآن وصيانته، وإنما أيضًا على مستوى عقيدة الإعجاز اللفظي والبلاغي للقرآن، وعدالة الصحابة والتابعين، والمحدثين والمفسرين، مما خلّف تراثًا متورمًا اختلط فيه حابل الروايات بنابل العنعنة و القيل والقال، ولم يسلم، حتى القرآن الذي بين أيدينا ـ الذي نؤمن بأنه كلام الله الموحى

بـه للنبـي - لـم يسـلم مـن تنــازع تلـك الروايـات ولا حتـى النبـي ﷺ سـلم ممـا نسـبته لـه. وسـوف نعـرض فيمـا يلـي لتلـك الروايـات والنصـوص التـي أوردهـا المفسـرون وأهـل الحديـث وغيرهـم حـول مسـألة جمـع القـرآن ونعقـب عليهـا بمـا تسـتحق.

إشكالات الجمع الأول

تعـدّد الروايـات، تـكاد تجمـع الروايـات والعنعنـات فـي هـذا الشــأن علــى أنّ النبــي ﷺ كان إذا نزلــت عليــه الآيــة أو الآيـات مـن القـرآن، يقرأهـا علـى مـن حضـر مـن أصحابـه فيحفظونهـا ويُقرِؤونهـا غيرهـم ممـن غابـوا. ثـم يعمـدون إلــى كتابتهــا علــى المــواد والأدوات المتوافــرة فــي ذلــك العصــر: كالرقــاع، واللخــاف، والعســب، وقطــع الأديــم، وعظـام الأكتـاف والضلـوع وغيرهـا... ولمّـا قبـض النبـي ﷺ لـم يكـن القـرآن قـد جمـع فـي موضـع واحـد، ولـم يكـن مرتـب السـور كمـا هـو اليـوم، وإنمـا بقـي مفرقًـا فـي الصحـف والرقـاع وصـدور الصحابـة.

وتـكاد تتطابـق معظـم تلـك الروايـات علـى أنّ أوّل مـن جمـع القـرآن الخليفـة الأول أبوبكـر بطلـب مـن الخليفـة الثانـي عمـر، وذلـك اسـتنادًا إلـى مـا رواه البخـاري فـي صحيحـه - بـاب جمـع القـرآن- تقـول الروايـة التـي يرويهـا زيـد بـن

ثابت أبرز كتاب الوحي، إنّ أبا بكر بعث إليه عقب وقعة اليمامة التي مات فيها كثير من القراء وطلب إليه أن يتتبع القرآن ويجمعه، مخافة أن يضيع منه الشيء الكثير. يقول زيد: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره. ثم قال، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر.

كما أنّ هناك بعض الروايات تشير إلى أنّ عليًا كان أوّل من تصدّى لهذا الأمر، ومما يستدلّ به على ذلك ما أخرجه ابن أبي داوود في المصاحف من طريق ابن سيرين، قال: قال عليّ: "لمّا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم آليت أن لا آخذ علَيّ ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته".

وتشير روايات أخرى إلى أنّ عمر كان أوّل من بادر بنفسه إلى ذلك. كما في رواية أبي داوود أنّ عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان قتل يوم اليمامة. فقال: إنا لله، وأمر بجمع القرآن، فكان أوّل من جمعه في المصحف.

وفي رواية يذكرها السيوطي في الإتقان عن ابن بريدة أنه قال: أوّل من جمع القرآن في مصحف، سالم مولى أبي حذيفة.

كما تذكر بعض تلك الروايات أنهم كانوا يشترطون أثناء عملية الجمع، على من يأتي بشيء من القرآن أن يشهد معه شاهدان على أنه من القرآن.

إشكالات الجمع الثاني

فـي سـرد البخـاري لوقائـع الجمـع الثانـي للقـرآن زمـن عثمـان، "أنّ حذيفـة بـن اليمـان قـدم علـى عثمـان وكان يشـارك فـي غـزو أهـل الشـام فـي فتـح أرمينيـة وأذربيجـان مـع أهـل العـراق، فأفـزع حذيفـة اختلافهـم فـي القـراءة، فقـال لعثمـان: أدرك الأمـة قبـل أن يختلفـوا (فـي القـرآن) اختـلاف اليهـود والنصـارى، فأرسـل إلـى حفصـة يطلـب منهـا إرسـال الصحـف التـي جمعـت أيـام أبـي بكـر لنسـخها فـي المصاحـف، فأرسـلت بهـا إليـه، فأمـر زيـد بـن ثابـت وعبـد اللـه بـن الزبيـر وسـعيد بـن العـاص وعبـد الرحمـن بـن الحـارث بـن هشـام فنسـخوها فـي المصاحـف".

وتضيـف الروايـة أنهـم عندمـا فرغـوا مـن نسـخ الصحـف فـي المصاحـف رد عثمـان الصحـف إلـى حفصـة، وأرسـل إلـى كل أفـق بمصحـف ممـا نسـخوا، وأمـر بمـا سـواه مـن القـرآن فـي كل صحيفـة أو مصحـف أن يحـرق. وقـد سـمّي المصحـف آنـذاك بالمصحـف الإمـام. قـال زيـد ففقـدت آيـة مـن الأحـزاب حيـن نسـخنا المصحـف قـد كنـت أسـمع رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلّم يقـرأ بهـا، فالتمسـناها فوجدناهـا مـع خزيمـة بـن ثابـت الأنصـاري

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ ٢٣

فألحقناها في سورتها في المصحف.

وتقـول روايـات أخـرى، إنّ القـرآن لـم ينـزل كتابًـا مكتوبًـا وإنمـا أنـزل مفرقًـا ومنجمًـا (وقرآنـا فرقنـاه لتقـرأه علـى النـاس علـى مكـث ونزلنـاه تنزيـلا) وإنّ النبـي ﷺ لـم يأمـر بجمعـه فـي مصحـف جامـع، كمـا يـدلّ عليـه قـول أبـي بكـر حيـن طلـب إليـه عمـر جمعـه فقـال كيـف أفعـل أمـرًا لـم يفعلـه الرسـول ﷺ، فلـم يـزل بـه عمـر حتـى أقنعـه بضـرورة جمعـه خوفًـا مـن وقـوع التحريـف.

إشكالات فروقات المصاحف

ذكر السجستانى في كتابه المصاحف (دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان- عام 1985) أنّ الخليفة الثالث عثمان بن عفان أحرق العديد من المصاحف التي كتبها بعض أصحاب النبي، لأنه أصرّ على أنْ يكون (مصحفه) هو النسخة (الوحيدة – المُوحّدة) وهذا يدل على تدخل البشر في كتابة آيات القرآن، ورغم ذلك اكتشف الآثاريون عدة مصاحف من بين المصاحف التي اعترض عثمان عليها ومن بينها:

- مصحف حفصة زوج النبي ﷺ
- مصحف عبيد بن عمير الليثي
- مصحف عطاء بن أبي رباح
- مصحف عكرمة
- مصحف سعيد بن جبير

مصحف حفصة
زوج النبي ﷺ

عـن سـالم بـن عبـد اللـه أنّ حفصـة أمـرتْ مولـى لهـا أنْ يكتـب لهـا مصحفـًا وقالـت: إذا بلغـتَ هـذه الآيـة

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ٢٣٨

فأذني فلما بلغ قالت اكتب
(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر)

مصحف عبيد
بن عمير الليثي

عن عمرو بن دينـار قـال: سمعتُ عبيد بـن عميـر يقـول: أول مـا نـزل مـن القـرآن سُـورَةُ الأَعۡلَىٰ. وعـن الآيـة رقـم 1 والآيـة رقـم 2 منهـا

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾

بينما هي في مصحف عبيد بن عمير

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ٱلَّذِى خَلَقَك﴾

وهنا يجب ملاحظة الفرق بين النصيْن.

مصحف عطاء بن أبي رباح

ذكـر ابـن حجـر فـي كتابـه (تهذيـب التهذيـب) بعـض التفاصيـل عـن أبـى نخـراء عـن فـلان عـن طلحـة أنّ عطـاء كان يقـرأ (يُخوّفكم أوليـاءه) بينمـا هـي في المصحـف الحالي

﴿يُخَوِّفُ﴾ آل عمران ١٧٥

وليس ﴿يُخَوِّفُكم﴾.

مصحف عكرمة

وعن عمران بن حديرأنّ عكرمة كان يقرأ

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِوّقُونَهُۥ﴾ بينما هي في المصحف الحالي

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ١٨٤

أي أنّ عكرمـة غيّـر فـي كلمـة (يُطيقونـه) فقرأهـا (يُطوّقونه) وطبعًـا الفرق واضـح بيـن الكلمتيْـن فـي المعنـى. وهـذه الآية يتحاشـى الأصوليـون التعـرّض لها.

مصحف سعيد بن جبير

عن فلان عن فلان أنّ سعيد بن جبير كان يقرأ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِوّقُونَهُۥ﴾ بينما هي في مصحف عثمان ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ﴿١٨٤﴾

أضـف إلـى كل هـذا - وحسـب الروايـات أيضًـا - مقتـل سـبعين مـن الصحابـة القـرّاء، الذيـن كان مـع كلّ منهـم مقدار من القرآن فـي غزوة بئـر معونـة، ومثـل هـذا العدد قضـوا يـوم اليمامـة.

شبهات نقص القرآن

سورة الأحزاب تعدل سورة البقرة

من ذلك ما رواه السيوطي في الإتقان وغيره عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن (73 آية).

و عن زر بن حبيش: قال لي أبيّ بن كعب: كم تعدّ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سُورَةُ البَقَرَةِ، وإنْ كنّا لنقرأ فيها آية الرجم. قلت: وما آية الرجم قال: إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم. وقد صحّحه ابن حزم في المحلى.

وعن حميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ عليَّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي، يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما، وعلى الذين يصلّون الصفوف الأولى. قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن أبيّ بن كعب قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك القرآن، فقرأ (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ومن بقيتها: لو أنّ ابن آدم سأل واديًا من مال فأعطيه سأل ثانياً، وإنْ سأل ثانيًا فأعطيه وسأل ثالثًا فأعطيه، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب).

وعن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: (إنّ الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو أنّ لابن آدم واديين من مال لتمنّى واديًا ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب).

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا

تفعلـون: فتكتـب شـهادة فـي أعناقكـم فتسـألون عنهـا يـوم القيامـة).

عـن عـديّ بـن عـديّ قـال: قـال عمـر: كنـا نقـرأ: (لا ترغبـوا عـن آبائكـم فإنـه كفـر بكـم.) ثـم قـال لزيـد بـن ثابـت: أكذلـك؟ قــال: نعم.

وروي أنّ مسـلمة بـن مخلـد الأنصـاري قـال لهـم ذات يـوم: أخبرونـي بآيتيـن فـي القـرآن لـم يكتبـا فـي المصحـف، فلـم يخبـروه وعندهـم أبـو الكنـود سـعد بـن مالـك، فقـال ابـن مسـلمة: (إنّ الذيـن آمنـوا وهاجـروا وجاهـدوا فـي سـبيل اللـه بأموالهـم وأنفسـهم ألا أبشـروا أنتـم المفلحـون).

والثانيـة: (والذيـن آووهـم ونصروهـم وجادلـوا عنهـم القـوم الذيـن غضـب اللـه عليهـم أولئـك لا تعلـم نفس مـا أخفـي لهـم مـن قـرّة أعيـن جـزاء بمـا كانـوا يعملـون.)

وروي مــن طــرق كثيــرة ذكــر بعضهــا ابــن حــزم فــي المحلــى: أنّ عمـر بـن الخطـاب قـال إياكـم أنّ تهلكـوا عـن آيــة الرجـم. والـذي نفسـي بيـده لـولا أنْ يقـول النـاس: زاد عمـر فـي كتـاب اللـه لكتبتهـا وهـي: الشـيخ والشـيخة إذا زنيـا فارجموهمـا البتـة نـكالًا مـن اللـه واللـه عزيـز حكيـم. فإنّـا قـد قرآناهـا.

وأخرج ابن الضريس في فضل القرآن عن يعلى بن حكيم عن زيد أن عمر خطب الناس فقال: لا تشكّوا في الرجم فإنه حق، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألت أبيّ بن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا استقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فدفعت في صدري وقلت: تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر.

وقال صاحب البرهان في قول عمر: لولا أن تقوّل الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: يعني آية الرجم. ظاهرة أن كتابتها جائزة، وإنما منعه قول الناس. والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه، فإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لأن هذا شأن المكتوب.

ويظهر لنا كيف أنّ عمر ترك كتابة هذه الآية في المصحف مخافة اتهامه بالزيادة، والمفروض وقد ثبت لديه أنها من المصحف أن يبادر لكتابتها، ولا يعرج على مقالة الناس لأن مقالة الناس لا تصلح مانعًا، وهو الذي تروى عنه الكثير في الصدع بالحق فكيف بآية من كتاب الله. كما أن قوله: "تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر". فيه ما يدلّ على استعمالهم الرأي فيما أثبتوه أو أسقطوه من القرآن ولقد فطن عمر أنّ الآية تأمر برجم الشيخ والشيخة البتة سواء أحصنوا أو لم يحصنوا خلافًا لحكم الشاب والشابة الذي يفرق

بين المحصن وغير المحصن ولذلك قال عمر ألا ترى أنّ الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد، وأنّ الشاب إذا زنا وقد أحصن رجم. فدلّ أنهم كانوا يتصرّفون في القرآن بآرائهم.

وفي السنن الأربعة عن عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم والرضاعة، فكانتا في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها؟ قال ابن حزم في المحلى: وهذا حديث صحيح.

وروى البخاري قالت عائشة: كان فيما أنزل عشر مرضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهنّ مما يقرأ في القرآن. فقولها وهنّ مما يقرأ من القرآن، يدلّ على بقاء التلاوة وأنّ النبي ﷺ توفي وبعض الناس يقرؤها.

وآية في الجهاد أسقطت وروى أبوعبيد بسنده إلى عمر أنه قال لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا أنْ جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة فإنّا لا نجدها. قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن.

و ذكر السيوطي أن سورتين - تعرفان اليوم بدعاء القنوت - من جملة القرآن وأنّ كلّ سورة منهما ببسملة

وفواصل، إحداهما تسمّى سورة الخلع والأخرى سورة الحفد، وروي أنهما كانتا في مصاحف ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب، وأن أبا موسى الأشعري كان يقرأهما، وعمر كان يقنت بهما. وترتيبهما في مصحف أُبي بعد سورة العصر.

وهما على التوالي:

(اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك)

(اللهم إياك نعبد ولك نصلّي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إنّ عذابك بالكفار ملحق)

وأخرج الطبراني في الدعاء عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك على حب أبي تراب (أي عليّ) إلا إنك أعرابي جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أنْ يجتمع أبواك، ولقد علّمني منه عليّ بن أبي طالب سورتين علّمهما إياه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما علمتهما أنت ولا أبوك، وذكر الآيتين.

وأخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري أنّ عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال:

بسم اللـه الرحمـن الرحيـم، اللهـم إنـا نسـتدعيك ونسـتغفرك ونثنـي عليـك ولا نكفـرك ونخلـع ونتـرك مـن يفجـرك، اللهـم إيـاك نعبـد ولـك نصلّـي ونسـجد وإليـك نسـعى ونحفـد، نرجو رحمتـك ونخشـى نقمتـك، إنّ عذابـك بالكافريـن ملحـق. ثـم قـال ابـن جريـج معلقًـا: حكمـة البسـملة أنهمـا سـورتان فـي مصحـف بعـض الصحابـة.

وأخـرج محمـد بـن نصـر المـروزي فـي كتـاب الصـلاة عـن أبـي بـن كعـب أنـه كان يقنـت بالسـورتين فذكرهمـا، وأنـه كان يكتبهمـا فـي مصحفـه.

وأخـرج الطبرانـي بسـند صحيـح عـن أبـي إسـحاق، قـال: أمّنـا أميّـة بـن عبد اللـه بـن خالـد بـن أسـيد بخراسـان، فقـرأ بهاتيـن السـورتين: إنـا نسـتعينك ونسـتغفرك (يقصـد سـورة الخلـع والحفـد).

وتذكـر الروايـات أن فـي مصحـف ابـن مسـعود مائـة واثنتـا عشـرة (112) سـورة بدل مائة وأربـع عشـرة (114) سـورة، إذ لـم يعتـد بالمعوذتيـن بينمـا فـي مصحـف أبـيّ بـن كعـب اثبـت فاتحـة الكتـاب والمعوذتيـن وسـورة الخلـع والحفـد، وتركهـنّ ابـن مسـعود وكتـب عثمـان منهـم فـي المصحـف الإمـام فاتحـة الكتـاب والمعوذتيـن وتـرك سـورتي القنـوت.

رد الشبهات والروايات

إشكالية الحفظ الإلهي والخوف الإنساني والثقة بالرقاع

ومن هنا نتطرّق إلى صحّة مجموعة من الروايات، التي قد تكون صادمة للبعض تتناول بتنوّعها أنواعًا من الشكوك والشبهات بحالات مختلفة كموت الصحابي الذي يحفظ الآية دون غيره، أو لتلفٍ لَحِق ببعض الصحف التي كتب عليها بعض القرآن، أو لأنّ القارئ لم يأت بشاهد على قراءته أو حفظه.

من هذه الروايات أنّ الصحابة كانوا يشعرون بخوف كبير من تحريف القرآن وتبديله، كما جاء على لسان كثير منهم ومن ذلك قول حذيفة بن اليمان لعثمان، أدرك الأمة قبل أن يختلفوا (في القرآن) اختلاف اليهود والنصارى. وهذا يضعنا أمام حقيقة تكاد تشكك بنظرية حفظ الله للقرآن (إنا نزلنا الذكر)، وهذا يقودنا إلى أن نسأل أيضًا: إذا كان الصحابة أنفسهم لا ينزّهون أنفسهم عن الوقوع في التقوّل والتهمة، بدليل اشتراطهم الشهود على القرّاء، فإنّ من جاء بعدهم من فقهاء ومحدثين قد أسّسوا لعقيدة دخيلة في الإسلام لا يقوم لها دليل معقول أو مروي، مفادها أنّ الصحابي لا يطعن في عدالته وصدقه، ولا يتّهم في دينه وأمانته. هل تتفق هذه الأقوال عن عدالة الصحابة التي أسست لها الروايات، مع الوقائع التاريخية التي تقول إنّ الصحابة، بل المجتمع الصحابي بأسره (إن صحّ التعبير) وقعوا في إشكالات - في حياة النبي ﷺ وبعده - في أتون الصراعات المحمومة على السلطة والزعامة الدينية والسياسية بين المهاجرين والأنصار، وبين بني هاشم وبني أميّة وغير ذلك من الوقائع التي تدحض فكرة عدالة الصحابة وخلوّهم من الهوى والمؤثرات النفسية التي تعتري البشر مهما بلغت درجتهم أو علت مرتبتهم.

الإعجاز اللفظي والبلاغي

يُعد الإعجاز اللفظي والبلاغي من دعائم الاحتجاج على صحّة نسبة القرآن إلى الله، ويعتبر من أعظم دلائل النبوّة، المتمثلة في تقبل القلوب له وترديده بالقراءة والتلاوة بلا ملل، وفي ما تضمنه من إخبار عن غيبيات حدثت في الماضي أو أحداث مستقبلية، وفي ما جاء فيه من سنن كونية ونواميس و أدلة عقلية على الوجود الإلهي وقد تحدّى الله سبحانه العرب المكذبين بالدعوة المحمدية بالإتيان بسورة أو آية من مثله وأنهم لم يستطيعوا. فإنّ خوف الصحابة من أن يدخل على القرآن ما ليس فيه، إضافة إلى اشتراطهم الشهود على القرّاء، يطعن في صحة هذه النظرية خاصة إذا علمنا أنّ الكثير من الآيات التي أتى بها بعض الصحابة، لم تقبل منهم لأنهم لم يأتوا بشاهدين على صحتها، وليس للإعجاز من عدمه محلّ فيها، كآية الرجم وسورتي القنوت التي أتى بها بعض كبار الصحابة ورُدّت عليهم. كما أنّ المفروض حسب نظرية الإعجاز اللفظي أنّ النصّ القرآني الذي هو كلام الله تأليف معجز، ونظم معروف، وخرق للعادة، وينبغي أن يتميّز بوضوح لا يرقى له شك عن غيره من النصوص البشرية، وإلا فلا معنى للإعجاز ولا للتحدّي!

التواتر

ومـن جهـة أخـرى فـإنّ العلمـاء المسـلمين يحتجّـون علـى صحّـة ثبـوت نسـبة القـرآن، إلـى النبـي ﷺ بأنـه وصلنـا عـن طريـق التواتـر ويعرّفـون التواتـر بأنـه مـا رواه الجمـع الكثيـر عـن الجمـع الكثيـر، وبالتالـي هـو الاتفـاق الجمعـي بيـن المسـلمين، بـدءًا مـن وفـاة الرسـول إلـى اليـوم، وأن هـذا الـذي بيـن أيدينـا الموجـود بيـن دفتـي المصحـف هـو كلام اللّـه وكتابـه الـذي نزلـه علـى خاتـم رسـله محمـد ﷺ، مـن مبتـداه إلـى منتهـاه تحيـل العـادة تواطئهـم علـى الكـذب. ونحـن إنْ سـلّمنا جـدلًا بسـلامة هـذا التعريـف مـن الجهـة الإسـتدلالية والثبوتيـة، فـإنّ القـرآن لا تنطبـق عليـه التواتريـة مـن جهـة مبتـداه، فبحسـب الروايـات، فـإنّ الذيـن جمعـوا القـرآن كانـوا أقليّـة مـن الصحابـة لا تنطبـق عليهـم صفـة الجمـع الغفيـر الـذي يثبـت بـه التواتـر، ولذلـك كان الصحابـة أنفسـهم علـى توافـر النـاس وقـرب العهـد، يشـترطون شـاهدين لقبـول مـا يأتيهـم بـه النـاس مـن القـرآن علمًـا بـأنّ الأكثريـة مـن الصحابـة كانـوا يحفظـون أجـزاءًا مـن القـرآن، والأقلّـون هـم مـن كان يحفظـه كامـلًا، بـل يذهـب أنـس بـن مالـك حيـن سـأله قتـادة عمّـن جمـع القـرآن فـي عهـد النبـي ﷺ، قـال أربعـة كلّهـم مـن الأنصـار: أبـيّ بـن كعـب، ومعـاذ بـن جبـل، وزيـد بـن ثابـت، وأبـو زيـد. قلـت: مـن أبـو زيـد؟

قـال: أحـد عمومتـي. هـذه صيغـة البخـاري وفـي روايـة لثابـت عـن أنـس جـاءت بصيغـة الحصـر قـال: مـات النبـي صلـى اللـه عليـه وسلم ولـم يجمـع القـرآن غيـر أربعـة أبـو الـدرداء، ومعـاذ بـن جبـل، وزيـد بـن ثابـت، وأبـو زيـد.

روايات قلقة

مـن عـادة كثيـر مـن العلمـاء حشـر كثيـر مـن هـذه الروايـات فـي بـاب الناسـخ والمنسـوخ معتمديـن علـى محـض آرائهـم، وخالـص أهوائهـم، غيـر أن علمـاء آخريـن أنكـروا أن يكـون مـا سـقط مـن القـرآن مـن النسـخ، إذ مـن غيـر الجائـز نسـخ شـيء مـن القـرآن بعـد وفـاة النبـي ﷺ كمـا قـرره القاضـي أبـو بكـر فـي الانتصـار، وقالـوا إن مـا ذكـر مـن الزيـادة والنقصـان فـي القـرآن يرجـع إلـى خبـر الآحـاد والقـرآن لا يثبـت بهـا وإنمـا يثبـت بالتواتـر. وسـنعرض بعـض هـذه الروايـات:

إذا كان القـرآن يقـرر ومـن ورائـه علمـاء المسـلمين أنّ معجزتـه التـي أفحمـت العـرب وألجمتهـم، وجعلتهـم يذعنـون لمـا جـاء بـه ويؤمنـون بنبيـه هـي خرقـه العـادة فـي أسـلوبه وبلاغتـه، وقـد كانـوا أفصـح الفصحـاء و الخطبـاء، وأنـه تحدّاهـم علـى أن يأتـوا بمثلـه وأمهلهـم طـول السـنين، فلـم يقـدروا كمـا قـال،

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ سُورَةُ الطُّورِ ٣٤

ثم تحدّاهم بعشر سور منه في قوله،

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ سُورَةُ هُودٍ ١٣

ثم تحدّاهم بسورة في قوله،

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ سُورَةُ يُونُسَ ٣٨

ثم كرر في قوله،

﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ٢٣

وأنــه لـم يقـدر أحـد علــى معارضتــه بعـد تحدّيهـم بذلـك وأنــه نــادى عليهـم بإظهــار العجـز وإعجــاز القــرآن،

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ سُورَةُ الإِسۡرَاءِ ٨٨

وأنهـم لـو كان فـي مقدورهـم معارضتـه لعدلـوا إلـى ذلـك قطعًـا للحجـة. فـإن اختـلاف الصحابـة فـي إثبـات ورفـض بعـض الآيـات التـي أوردنـا بعضهـا أعـلاه يطـرح إشـكالًا علـى مستوى الإعجـاز الـذي هـو منـاط الإيمـان والتصديـق، إذ أنهـم اشـترطوا لقبـول القطعـة مـن القـرآن الشـهود وكان الأولــى اشــتراط الإعجــاز الــذي عليــه مـدار الإيمــان بــه، والـذي لـولاه لمـا آمـن العـرب.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنك إذا اعتبرت سورتي الخلع والحفد مثلًا اللتين كان يعدّهما بعض الصحابة من القرآن، وبالتالي يحملان معنى الإعجاز الخارق للعادة، وهما عند عامة المسلمين اليوم دعاء كباقي الأدعية المأثورة، فإننا نتساءل ماذا لو أنّ عثمان أثبتهما في المصحف الإمام؟ هل كان للمفسرون والمؤلفون في أوجه إعجاز القرآن، كالخطابي والرماني، والزملكاني، والرازي، وابن سراقة والقاضي أبو بكر الباقلاني، وبديع الزمان النورسي وغيرهم كثير، أقول هل كان لهم أن يتوانوا - بكل ما أتقنوه من صناعة الكلام وفنون الاستنباط ووجوه البلاغة- عن أن يثبتوا للناس أنهما معجزتان خارقتان للعادة وأن المنكر لهما إنما هو منكر بلسانه لا بقلبه، وأنه معاند ملحد في آيات الله.

لقد مضى على نزول القرآن أكثر من أربعة عشر قرنا، ولم يتحرّر بعد محل تاريخ جمع القرآن وتدوينه، فمن قائل إنه دُوّن في عهد رسول الله، وعلى يد رسول الله. وقائل إنه لم يتمّ جمعه وتدوينه في حياته، وإنما جمع القرآن ودوّن بعد وفاته.

الرأي الأول، قائلوه قليلون، والرأي الآخر هو السائد، وقائلوه لا يحصون!

إن الأخبـار والمرويـات لا يحكـم لهـا،
ولا عليهـا، بكثـرة القائليـن، أو قلّتهـم،
وإنمـا يحكـم لهـا، أو عليهـا بحكـم
الأدلّـة العلميـة التـي تتسـم بالرصانـة،
وتتميز بالثقل العلمي،
فلننظر أي القولين أرجح دليلا،
وأقوى ثبوتا.

هل قضى النبي ﷺ دون أن يدوّن القرآن؟

هل فارق رسول الله أصحابه، وغادر الدنيا، ولم يجمع القرآن، ولم يدونه، ولم يرتبه، ولم يحصّنه، ولم يحكم الأسوار حوله، ولم يطمئن إلى حفظه، وصيانته من الضياع؟ هل توانى رسول الله عن جمع القرآن؟ وهو الذي كان على علم وبصيرة بما أصيبت به الأمم السالفة بعد رسلهم، حيث ضيّعوا ما جاءت به رسلهم، وتلاعبوا به، وأحدثوا فيه ما أملت عليهم أهواؤهم، من تحريف وتبديل!

هل أغفل رسول الله جمع القرآن وهو على علم بأن القرآن خاتم الكتب؟ وهو خاتم الأنبياء، وأنّ أيّ تفريط في حفظه، وتدوينه، أو حصول تقديم أو تأخير، أو تبديل أو تحريف فهو خزي الأبد، حيث لا يأتي بعده كتاب يهدي الناس إلى الرشد، ويصلح ما فسد من أمرهم، ويذكّرهم بما نسوا من كتاب ربهم.

إن لـم يسـتطع الرسـول أن يجمـع القـرآن، ويرتبـه بيـن الدفتيـن، فـي حياتـه، فمـا الـذي منعـه مـن الوصيـة فـي جمعـه، وترتيبـه بعـد وفاتـه؟.

وهل أوصى المسلمين في خطبة الوداع بالتمسك بكتاب اللـه، ولـم يـوصِ بجمعـه وترتيبـه، و حتـى تدوينـه؟

إنْ كان القـرآن لـم يـدوّن بعـد، ورأى أبـو بكـر وعمـر ضـرورة تدوينـه، فهـل يُعقـل أن يُسـند هـذا الأمـر الخطيـر العظيـم إلـى شـخص واحـد هـو زيـد بـن ثابـت الأنصـاري فلـم يجمـع لـه المسـلمين كلّهـم، ومـن ثـم تشـكل لجنـة تضـمّ ناسًـا يكونـون موضـع ثقـة وتقديـر عنـد الجميـع.

ثـم مـاذا قصـدت الروايـة عـن زيـد بـن ثابـت إذ يقـول: "فواللـه لـو كلفنـي نقـل جبـل مـن الجبـال مـا كان أثقـل علـيّ ممـا أمرنـي بـه مـن جمـع القـرآن"؟ ومـاذا كان عملـه؟ وكيف كانـت خطتـه فـي جمـع القـرآن؟ وأيـن ذهبـت تلـك الصحـف التـي كان يكتبهـا كتّـاب الوحـي، كلّمـا كان يأتـي الوحـي، وهـو منهـم؟ فإننـا لا نسـمع لهـا صـدًى فـي عمـل جمـع القـرآن؟ ومـا كان المقصـود بقولـه: "فتتبعـت القـرآن أجمعـه مـن الرقـاع والأكتـاف والعسـب وصـدور الرجـال"؟ هـل كان يُكتـب القـرآن فـي أيـام الوحـي علـى الرقـاع والأكتـاف والعسـب، واللخـاف؟ وهـل اسـتُخدمت تلـك الأشـياء لكتابـة

القـرآن فقـط، أم اسـتخدمت لكتابـة أشـياء أخرى غيـر القرآن؟ هـل كتبـت المعلقـات العشـر، أو قصائـد فحـول الشـعراء علـى العسـب واللخـاف؟ هـل كانـت العهـود والمواثيـق بيـن القبائـل، وبيـن المسـلمين واليهـود، وبيـن المسـلمين والقـرى، كلهـا كانـت تكتـب علـى الرقـاع والأكتـاف؟

أي شـيء كان يكتـب علـى الرقـاع والأكتـاف، وعلـى العسـب واللخـاف حتـى يكتـب عليهـا القرآن؟

لـو صدقنـا هـذه الروايـات فإلـى كـم مـن الأحجـار أو أجـزاء النخيـل أو العسـب أو الأكتـاف نحتـاج لكتابـة هـذه الآيـات؟ خاصـة لـو علمنـا أن القـرآن الـذي نـزل فـي مكـة يشـكل نحـو ثلثـي المصحـف – إنـه يحتـاج إلـىً عشـرين بعيـر ليحملـه. ولـم نعلـم مـن أنبـاء الهجـرة أن قافلـة كتلـك، قبـل النبـي ﷺ أو مـع النبـي ﷺ، هاجـرت ومعهـا هـذا الحمـل الغريـب.

إن القـرآن أرشـد المؤمنيـن إلـى أحسـن شـيء يكتبـون عليـه القـرآن، حينمـا قـال:

﴿وَٱلطُّورِ﴾ سُورَةُ الطُّورِ ١

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ سُورَةُ الطُّورِ ٢

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ سُورَةُ الطُّورِ ٣

والـرقّ كان عندهـم متوفـرًا، وهـو جلـد رقيـق يكتـب فيـه، وكان أسـهل فـي الكتابـة، وأسـهل فـي القـراءة، وأسـهل فـي الترتيـب، وأسـهل فـي المراجعـة، وأسـهل فـي الحمـل والنقـل، فمـا الـذي صـرف المسـلمين عـن الـرقّ إلـى غيـره؟

والعـرب كانــوا يسـتعملونه عــادة، وكانــوا يذكرونـــه فـــي شـعرهم، كمــا قــال الأخنــس بــن شــهاب التغلبـــي:

لاِبْنَةِ حِطّانَ بنِ عَوْفٍ مَنازِلٌ
كما رَقَّشَ العُنْوانَ في الرّقّ كاتِبُ

(المفضليات:36/1)

وقال طرفة بن العبد:

كسطور الرقّ رقشه
بالضحى مرقش بشمه

(الأمالي في لغة العرب: 250/2)

وقال آخر:

يَحوكُهما ذَهبٌ في لُجَيْنٍ
كمَشْقِك في الرَّقّ خَطًّا دَقِيقًا

(الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار: 111/1)

تساؤلات

بعد أن تدارك عمر وأبو بكر الأمر وعملا على جمع القرآن، لماذا أبقياه عند حفصة كل هذا الوقت؟ وما الذي منعهم من نشره في الأمصار؟ تلافيا لاختلاف المسلمين حول القراءات، الأمر الذي حذر منه حذيفة بن اليمان؟

ثم ماذا تعني الرواية عن زيد بن ثابت حينما قال: "حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره. ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ ١٢٨ (هي آية واحدة وليست آيتين).هل نسي المسلمون كلهم، وفيهم أبو بكر وعمر! وفيهم عثمان وعلي! وفيهم مئات من الصحابة؟.

تلك إشكالات تحفّ بها روايات رواها البخاري في جمع القرآن وتدوينه، وروى ابن حبان أيضًا مثلما روى البخاري، وزاد في روايته ما لم يذكره البخاري.

تقول هذه الروايات، جمع زيد بن ثابت القرآن في عهد أبي بكر ففقد آخر سورة براءة، ولم يجدها إلا عند خزيمة الأنصاري، (كتاب المصاحف 169/1) ما وجدها عند غيره! ثم حينما عاد إلى تلك الصحف في عهد عثمان بن عفان لينسخها، فقد مرة أخرى آية من سورة الأحزاب، كان يسمع رسول الله يقرؤها، فالتمسها فوجدها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، فألحقها في سورتها في المصحف! أهكذا كان الأمر؟ أمر ليس فيه شيء من المسئوليّة والجدّية! وإن كان الأمر هكذا فمن يضمن لنا الصحة والدقة في جمع القرآن؟ ومن يستطيع أن يلجم الأعداء، إن بسطوا ألسنتهم إلى القرآن بسوء؟

حينما أمر عثمان بنسخ المصاحف، شكل لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص، وقال لهم: "ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم "وهذا يعني أنّ القرآن مازال موضع اختلاف، وموضع نقاش إلى عهد عثمان! وهو لمّا يأخذ شكله النهائي، وقد مضى على وفاة من نزل عليه أكثر من خمسة عشر عاما! وقد حدث ذلك فعلًا، قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذ في (التابوت) فقال زيد: التابوه، وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت. فرفع اختلافهم إلى عثمان رضوان الله عليه فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه لسان

قريش. وأيضا تذكر لنا الروايات عن زيد بن ثابت أنه قال: فلما فرغتُ عرضته عَرْضةً، فلم أجد فيه هذه الآية:

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ ٢٣

قال: فاستعرضتُ المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدْها عند أحد منهم، ثم استعرضتُ الأنصارَ أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدُتها عند خُزيمة بن ثابت، فكتبتها، ثم عرَضته عَرضَةً أخرى، فلم أجد فيه هاتين الآيتين:

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

فاستعرضت المهاجرين، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصارَ أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها مع رَجل آخر يدعى خُزيمة أيضًا، فأثبتها في آخر "براءة"، ولو تمتْ ثلاثُ آيات لجعلتها سورة على حِدَةٍ". (تفسير الطبري: 1/60-61)

هكـذا، بهـذه السـهولة: لجعلتهـا سـورة علـى حِـدَةٍ! كأنّ السـور فـي القـرآن ليسـت مـن صنع اللــه، ولـم تـزل فـي الأمـر سـعة إلـى عهـد عثمـان أنْ تضـاف سـورة إلـى سـور القـرآن! وتلـك الإضافـة لا تحتـاج إلـى سـلطان، بـل يمكـن أن يفعلهـا مـن كُلّـف بجمـع القـرآن!

ومـا الاختـلاف الـذي حـدث بيـن المسـلمين، أي: بيـن الصحابـة وتلاميذهـم فـي قـراءة القـرآن، حتـى اضطـر عثمـان إلـى أن أمـر بمـا سـوى ذلـك مـن القـرآن فـي كل صحيفـة أو مصحـف أن يمحـى أو يحـرق؟!

وإذاً، فالروايـات التـي جـاءت فـي جمـع القرآن وتدوينـه، قـد لا تصلـح أبـدًا لأنْ تكـون عمـدة فـي أمـر جمـع القـرآن وتدوينـه.

والعـودة إلـى القـرآن نفســه كفيلــة بحسـم الأمـور، وهـو يلقــي القـول الفصـل فــي الموضـوع، قـال تعالـى فـي سُــورَةُ القِيَامَــةِ :

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾

المخطوطات تصدق القرآن وتدحض الروايات

كل المخطوطات التي اكتشفت كانت من الرق وتؤكد بما لا يترك مجالا للشك أن القرآن الكريم

منذ عهد الرسول كان يُكتب على الرقوق والصحائف.

مخطوطة برلين

تتألف المخطوطة من سبع رُقوق (جمع رَقّ: جلد حيوان كان يستخدم للكتابة) مكتوب عليها آيات بالخط الحجازي من سورتي "النساء" و"المائدة" (من الآية 138 إلى الآية 155 من النساء، ومن الآية 172 من النساء إلى 87 من المائدة). يبلغ طول الرقوق حوالي 35 سم وبعرض 26 سم تقريبا.

أرسلت عينة من رق المخطوطة إلى "المعهد الفيدرالي للتكنولوجيا" في زيوريخ بسويسرا، الذي يعتبر واحد من أفضل عشر جامعات على مستوى العالم، وذلك بغية إجراء اختبار الكربون المشع (C-14) لتحديد عُمر الرَق. عن نتيجة الفحص يقول راوخ: "بنسبة 95 فإن الرَقّ يعود للأعوام بين 606 و652 ميلادي. أرجح أن يكون في حدود العام 650". من المعلوم، أن النبي محمد ﷺ توفي في العام 632. يضيف السيد رواخ قائلاً: "ولكن الفحص الكربوني لا يعطي نتائج قاطعة عن تاريخ الكتابة، بل عن عمر الجلد المُستخدم". يوافقه الرأي ماركس ويضيف: "لقد تم تأريخ الرَقّ وليس الحبر. من المحتمل نظرياً، ولكنه مستبعد، أن يكون قد تم ذبح الخروف في هذا الوقت ولكن تمت الكتابة على جلده في عقود لاحقة. لا حقائق علمية مطلقة مائة بالمائة".

مخطوطة لندن

عثـر علـى مخطوطـة قرآنيـة يزيـد عمرهـا عـن 1370 سـنة فـي جامعـة برمنغهـام البريطانيـة، وأظهـرت فحـوص الكاربـون المشـع التـي أُجريـت فـي جامعـة أوكسـفورد أن الصفحـات المكتوبـة علـى الـرق المصنـوع مـن جلـود الأغنـام أو الماعـز، هـي مـن اقـدم المصاحـف فـي العالـم.

أُجريـت فحـوص الـتأريخ باسـتخدام الكاربـون المشـع فـي جامعـة أوكسـفورد، حيـث أظهـرت أن الصفحـات المكتوبـة علـى الـرق المصنـوع مـن جلـود الأغنـام أو الماعـز هـي مـن اقـدم المصاحـف فـي العالـم.

وحسـب نتائـج الفحـوص، فـإن صفحـات الـرق تعـود إلـى الفتـرة الواقعـة بيـن عـام 568 و عـام 645 ميـلادي، بنسـبة احتمـالات تزيـد علـى 95 فـي المئـة.

مخطوطات صنعاء

أثناء أعمال ترميم الجامع الكبير بصنعاء، عاصمة اليمن، إثر سقوط أمطار غزيرة عام 1972، عثر العمال على مخبأ سري بين السقف الداخلي والسقف الخارجي للجامع.

وكانت مفاجأة للجميع، عندما أخرج العمال من هذا المخبأ، الآلاف من القصاصات والدفاتر والكتب البالية، ووجدت كميات هائلة من الرقوق الجلدية مكتوب عليها بخطوط عربية قديمة.

وتبين بعد ذلك، أن ما عثروا عليه يمثل مكتبة قرآنية قديمة، وأكد رجال الآثار اليمنيون، أن المخطوطات المكتشفة، تحتوي على آيات قرآنية يعود تدوينها إلى القرون الأولى للهجرة.

وتم إعداد مشروع يمني - ألماني مشترك لترميم وتوثيق هذه المخطوطات القرآنية، وبدأ تنفيذ المشروع عام 1983 واستمر حتى عام 1996. وقد تمكن الفريق من ترميم 15 ألف صفحة من نسخ القرآن الكريم من مجموع المخطوطات المكتشفة البالغ عددها نحو 40 ألف مخطوطة، بينها 12 ألف رق جلدي قرآني، جرى فتحها وتنظيفها ومعالجتها وتصنيفها وتجميعها.

وعند فحص طريقة الكتابة، ونوع الحروف المستخدمة. تبين للخبراء أن بعض القصاصات التي عثر عليها ترجع إلى نسخ قديمة من القرآن الكريم في القرنين السابع والثامن، أي القرنين الأولين من التاريخ الهجري، مما يجعلها من أقدم النسخ القرآنية المكتشفة حتى الآن. كما تبين عند فحص المخطوطات، أنها قصاصات وقطع جلدية صغيرة الحجم ومتباينة النوع والمصدر، لا تشكل مصحفاً واحداً متكاملاً، بل أجزاء من مصاحف متعددة.

كما أكدت الدراسات التي أجريت حتى الآن، أن هذه المخطوطات جاءت من 800 مصحف يرجع تاريخها إلى الفترة التي تمتد بين القرنين الأول والخامس للهجرة، أي بين القرنين السابع والحادي عشر للميلاد، تبين المراحل المختلفة التي مرت بها عملية تدوين المصاحف تبعاً لأنواع الخطوط وقواعد الضبط اللغوي. هذا بالإضافة لمخطوطات "باريسينو بيتروبوليتانس" ومخطوطات "توبنغن". ومخطوطة "طوب قابي" ومخطوطة "سمرقند".

جميعها مخطوطات قرآنية مكتوبة على الرقوق والصحائف ولا دليل للعسب والأحجار والعظام كما ذكرت الروايات.

اختلافات الفقهاء والمفسرين

اختلاف الفقهاء واتفاقهم

هو الْكِتَابِ الحَكَم على كل شيء، وهو الذي صلح به أوّل الأمة وهو صلاح آخرها، والوحيد الذي سَنُسْأل عنه، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ سُورَةُ الزُّخْرُفِ ٤٤

وليس عن الروايات والأحاديث و(قِيلَ وقال وسَمعْت) أو فتاوى الموتى التي نجدها مع كُلّ آية من كتاب الله تعالى، حيث الكَمّ الهائلُ من الروايات والأحاديث، (وقال فلان وأفتى علان)، لتغدو مدونات التفاسير بالآلاف بل عشرات الآلاف و لتغدو بعض المجلدات لمؤلف واحد- أو الأصح لمجمع الأقوال والروايات إلى أكثر من 30 مجلدًا، مما يشكل تكرارًا ونقولات وتصحيحًا لروايات وأحاديث، أو تضعيفًا لأخرى، أو ردًا لما صحّحه آخرون، كما في آية الوضوء والتيمم في قول الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾

سُورَةُ المَائِـدَةِ ٦

إن أداء ما افترضه وأوجبه الله تعالى في الوضوء وفي التيمّم صريح وواضح في الآية، ولقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتيمم كما توضأ وتيمم الصحابة والتابعون ومن تبعهم وكل مسلم بعد كل حدث. واستقرّ ذلك وصار مما يعلم من الدين بالضرورة، لا يجهله مسلم إلى يومنا هذا، وغدا واقعًا عمليًا متواترًا تتناقله الأمّة جيلًا بعد جيل على مدى أكثر من (1440 سنة). هم يغسلون وجوههم ثم أيديهم إلى المرافق ثم يمسحون رؤوسهم ثم يغسلون أرجلهم إلى الكعبين، و بذلك يتمّ ما فرض الله تعالى عليهم من الوضوء. لكن بسبب الروايات والأحاديث والأقوال اختلف الأئمة والعلماء وتلاميذهم وأتباعهم في هل المضمضة والاستنشاق واجبان في الوضوء والغسل؟ كما هو مذهب أحمد بن حنبل أم هما مستحبّان فيهما كما هو مذهب مالك والشافعي أو واجبان في الغسل دون الوضوء كما هو مذهب أبي حنيفة أو وجوب الاستنشاق دون المضمضة كما في رواية عن الإمام أحمد؟

وكذا الأمر في المسح على الرأس... هل هو إلصاق اليد بالرأس أو مجرد تمرير لها؟ وفي المسح على الرأس كله أو النصف أو الربع أو أي جزء منه. فَخَفَتَ التدبر والنظر في نور كلام الله تعالى، حتى حجب فهمه إلا

عـن طريـق الدخـول فـي تشـعبات الروايـات والأحاديـث والأقاويـل، واللـه تعالـى فـي آيـات كثيـرة يقـول: إنـه مُيسّـر، وإنــه بلســاننا العربــي

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ سُورَةُ القَمَرِ ١٧

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ سُورَةُ الدُّخَانِ ٥٨

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا﴾ سُورَةُ مَرۡيَمَ ٩٧

المصيبـة أن تظـن أن كلام اللـه تعالـى ناقـص أو غيـر مفهـوم لتكملـه هـذه الروايـات والأحاديـث والأقاويـل، أو تشـرحه وتفسـره، ويُنسـى أو يُتناسـى، إن أكثـر مـا يمكـن أن يُسـتفاد من هـذه الروايـات والأحاديـث والأقاويـل، أنـه يُستَأنس بهـا فقـط، ولا تشـرع حكمـا، كوضـع اليديـن فـي الصـلاة، أو وضـع الكـف الأيمـن علـى الأيسـر أووضعهمـا علـى الصـدر أو تحـت الصـدر، أو علـى السـرة، أو إسـدالهما. فالركـن والفـرض فـي الصـلاة هـو القيـام، سـواء وضعـت اليـد اليمنـى علـى اليسـرى علـى الصـدر أو السـرة أو أسـدلتا فهـو لا يؤثـر فـي أداء الصـلاة.

إن تقديـس وتقديـم الروايـات والأحاديث و(قيل وقـال وحدثنا، وسـمعنا)، جعلهـا الحَكَـم علــى كتــاب اللــه تعالــى، وبوابــة لفهمــه، فتفرقــت الأمــة إلــى طوائـف ومذاهـب، وصــارت هـذه التفاسـير، والأقـوال، والروايـات والأحاديـث هـي الديـن والتشــريع وقدمــت علــى الثابــت يقينًــا "الكتــاب والســنّة المتيقنــة" – المقطـوع بثبوتهمـا – لأنّ الديــن، وتشــريع الأحـكام، لا يثبـت إلا بهمـا، وبهمـا فقـط تقـوم الحُجّـة، وتبلّـغ الرســالة، فهمـا الدليـل القطعـي الثبـوت، والدلالــة، والنــور لِـكُل ظلمــة.

دفع القرآن لغرائب الفتاوي

حكم من مات عنها زوجها وأتت بمولود بعد سنتين

فلو طلقت المرأة أو مات عنها زوجها، فلم تنكح حتى أتت بولد بعد طلاقها أو موت زوجها بأربع سنين، فإن الولد يلحقه وتنقضي عدتها بوضعها الحمل، وهذا مذهب المالكية والشافعية والحنابلة.

وقال الحنفية: أقصى **مدة الحمل سنتان.**
(الفقه على المذاهب الأربعة).

وحجة الجمهور أن ما لا نص فيه يرجع فيه إلى الوجود، وقد وجد من تحمل أربع سنين، فروى الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك بن أنس عن حديث عائشة قالت: لا تزيد المرأة في حملها على سنتين، فقال: سبحان الله، من يقول هذا؟ هذه جارتنا امرأة محمد بن عجلان امرأة صدق، وزوجها رجل صدق، حملت ثلاثة أبطن في اثنتي عشر سنة، وقال الشافعي: بقي محمد بن عجلان في بطن أمه أربع سنين، وقال أحمد، نساء ابن عجلان تحمل أربع سنين.

وعليه، فمن ولدت على رأس سنتين، فإن الولد يلحق زوجها الذي طلقها أو مات عنها إن لم تكن تزوجت بغيره، وهذا محل اتفاق بين أهل المذاهب المتبوعة.

وقال شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري رحمه الله في (أسنى المطالب) فإن طلقها بائنًا وكذا رجعيًا أو فسخ نكاحها ولو بلعان ولم ينف الحمل فولدت لأربع سنين فأقل من وقت إمكان العلوق قبيل الطلاق أو الفسخ لحقه، وبان أن العدة لم تنقض إن لم تنكح المرأة آخر أو نكحت ولم يمكن كون الولد من الثاني لقيام الإمكان، سواء أقرت بانقضاء عدتها قبل ولادتها أم لا، لأن النسب حق الولد فلا ينقطع بإقرارها. والله أعلم.

أكثر مدة الحمل
في القرآن

من الواضح أنّ الآيات التي جاءت في موضوع الحمل إنما جاءت من أجل بيان جملة أحكام، ومن بينها نسب المولود، ولم تكن في مجملها آيات مباشرة في النطق بأكثر مدة الحمل وأقله، إلا أن الأحكام نفسها اقتضت معرفة هذه الحدود، واقتضت النظر في نفس الآيات من أجل الوصول لهذه المعرفة.

إن أحكام النسب استوجبت معرفة أقل مدة الحمل لأننا بموجب هذا العلم والمعرفة صرنا نحكم بأن من جاءت بولد بعد ستة أشهر من زواجها فإن الولد للزوج.

سُورَةُ الأَحۡقَافِ ﴿١٥﴾ ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾
ظهر منها لعلي بن أبي طالب ومن تبعه دون عناء أقل مدة الحمل، وإذا لم يظهر من الآية أكثره، أو لم يكن بيانه مقصوداً، منها فلا غرابة لأن الغالب في أكثره (تسعة شهور) ظاهرٌ للعيان، ولا يحتاج إلى مزيد بيان. لكن بما أن الفقه خاض في أكثر مدة الحمل وقال فيها شططا، وصار هذا الشطط ديناً متبعا، وترتبت على هذه الأقوال أحكامٌ كما ترتبت على معرفة أقل مدة الحمل، كان لا بد من الرجوع للآيات لنستنطقها بأكثر مدة الحمل.

قول الله تعالى:

﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾

وضع حدًا للحمل والرِضاع معًا، فلا يكون "حمل ورضاع" أكثر من الحد الذي حده الله تعالى في الآية الكريمة محلاً لاستنباط الأحكام أو لأي بحث شرعي.

أقلّ مدة الحمل في القرآن

في الموروث الفقهي يُنسب لعلي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- أنه أول من تحدث بأقل مدة الحمل مستدلاً على ذلك بآيتين من كتاب الله وهما قوله تعالى في الآية من سُورَةُ الأَحْقَافِ ﴿١٥﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾.

وقوله تعالى في الآية من سُورَةُ البَقَرَةِ ﴿٢٣٣﴾

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾

ليصل من الجمع بين الآيتين إلى أن أقل مدة الحمل هي ستة شهور. وفقاً للمنطق الرياضي التالي:

ثلاثون شهراً هي مدة الحمل والرضاع معاً كما جاء في سُورَةُ الأَحْقَافِ ﴿١٥﴾ ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾،

وأربعة وعشرون شهراً هي مدة الرضاع الكاملة كما جاء في سُورَةُ البَقَرَةِ ﴿٢٣٣﴾ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾

ويعضدها الآية من سُورَةُ لُقْمَانَ ﴿١٤﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾

فلـزم مـن ذلـك أن أقـل مـدة الحمـل سـتة أشـهر، وذلـك بطـرح مـدة الرضـاع الكاملـة (24 شـهراً) مـن مـدة الحمـل والرضاعـة معـاً (30 شـهراً) وفقـاً للمعادلـة البسـيطة التاليـة:

30 – 24 = 6

وقـد وافـق "علـي" الكثيـر مـن الصحابـة - رضـوان اللـه عليهـم - علـى هـذا الفهـم - حسـب الروايـات - التـي وصلتنـا، وكذلـك الذيـن جـاؤوا بعدهـم، وإلـى يومنـا هـذا. ولا تـكاد توجـه سـؤالاً لأي متصـدرٍ للفتـوى فـي أيامنـا هـذه عـن أقـل مـدة الحمـل وأدلتهـا مـن القـرآن إلا وأجابـك بنفـس هـذا الجـواب. ممـا يمكننـا مـن القـول إن هـذا الـرأي ممـا لا خـلاف عليـه بيـن مذاهـب المسـلمين.

إلا أن سـجلات الطـب الحديـث عرفـت بعـض حـالات الـولادة لمواليـد أحيـاء، واسـتمروا أحيـاءً بمـدة حمـل أقـل مـن سـتة أشـهر. ممـا يسـتوجب التعـرف علـى رأي الطـب فـي أقل مدة الحمـل، ومـدى توافقهـا أو تعارضهـا مـع الفهـم المسـتنبط مـن كتـاب اللـه.

الزوج ليس ملزماً بعلاج زوجه

هنـــاك إجمـــاع واتفـــاق بيـــن المذاهـــب الأربعـة وغيرهم كلهـم نصـوا على أن **(الـزوج ليـس ملزمـاً بعـلاج زوجـه)**، وذلــك لأن المــرض متعلــق ببدنهــا، وهــذا أمــر يتعلــق بذاتهــا وليــس لــه صلــة بالحيــاة الزوجيــة، صحيــح أنــه لا يمكنــه أن يستمتع بهــا إلا إذا شــفيت، هـذا شــيء لا يعنينـا مثلمـا لـو اسـتأجر أجيـراً لعمـل ومـرض الأجيـر، فليـس مـن حقـه أن يطالـب...

فتاوى ابن باز و ابن عثيمين حول هذا الموضوع:
24 أكتوبر 2014 ·

هل يجب على الزوج نفقات علاج زوجته؟

السؤال:
من المعلوم أن النفقة من الزوج على زوجته واجبة، ولكن ذكر صاحب الزاد: ولا تجب إلى طبيبٍ ونحوه فهل هذا صحيح؟

الجواب:
"الدواء للزوج على زوجته على المذهب لا تجب، لأنها أمرٌ طارئ خارج عن النفقة. والصحيح في هذا أن نتبع العرف: إن جرت العادة أن الزوج يداوي زوجته وجب عليه، وإن لم تجر العادة في ذلك لم يجب، وأظن العرف عندنا يختلف، النفقات الباهظة -مثلاً- لو تحتاج إلى عملية في الخارج لا تلزم الزوج، والشيء اليسير يلزم الزوج، والميزان عندك اجعله دائماً بين يديك، وهو قول الله تبارك وتعالى:
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ ١٩
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» فاتبعوا العرف في هذا."
المصدر: سلسلة لقاءات الباب المفتوح (184)

فهذا حقها في النفقة عند التشاح، وإلا فالأصل أن يعاشرها بالمعروف، ويطعمها معه، ويكرمها، ويتبين من ذلك أنه لو أعطاها حقها من الطعام، وأكل هو ما هو أرفع منه أنه لا إثم عليه - مع كون هذا يتنافى مع المروءة - ولا يلزمه أن يُجيبها في كل ما تطلبه، بل الواجب أن يُعطيها حقها، وكذلك يعطيها من الحلوى المعروفة لمثلها قال الماوردي" وَنَفَقَة الزَّوْجَة إِذا مكنت من نَفسهَا وَاجِبَة على الزَّوْج بِحَسب يسَاره وإعساره، فَإِذا كَانَ مُوسِرًا فمدان من غَالب مَا يقتاته أَهله من الْحُبُوب وَمن الْأدم مَا جرت بِهِ عَادَة الموسرين من اللَّحْم والحلوى".

وهذا بناء على مذهب الشافعي من اعتبار النفقة بحال الزوج، والصحيح اعتبارها بحالهما معًا كما تقدم، وقال البابرتي الحنفي في العناية: إذا كان الزوج يأكل الحلوى والحمل المشوي والباجات، والمرأة كانت تأكل في بيتها خبز الشعير لا يؤمر الزوج بأن يطعمها ما يأكل بنفسه ولا ما كانت المرأة تأكل في بيتها ولكن يطعمها فيما بين ذلك، يطعمها خبز البر وباجة أو باجتين.

والشاهد: أنه يُفرض لها الحلوى على حسب حالها، وقد نص بعض الفقهاء أنه لا يفرض لها من الفاكهة، والحلوى إلا إذا كانت إداما، ففي منح الجليل عسل ولا سمن أي إلا أن يكون إداما عادة ولا حلوى ولا حالوم ولا

فاكهة لا رطبة ولا يابسة أي إلا أن يكونا إداميـن عـادة كقثاء وخيار.

وجاء في حاشية الجمل: ولو غلب التأدم بالفواكه في بعض الأوقات وجبت، وأمّا ما لا يتأدم به منها فلا يجب ما لم يعتد الإتيان به وإلا وجب، ومن ثم نقل عن شيخنا أن ما جرت به العادة من أن الفاكهة إن كانت تزيد على الأدم تجب مع الأدم.

وجاء في كتاب "الروض المربع بشرح زاد المستقنع" المستند للفقه الحنبلي الذي يدرس إلى اليوم في بعض المدارس في صفحتي 90 و91 يقول:

"لا يلزم الزوج لزوجته دواء وأجرة طبيب إذا مرضت، لأن ذلك ليس من حاجتها الضرورية المعتادة، وكذا لا يلزمه ثمن طبيب وحناء وخضاب ونحوه، وإن أراد منها تزيينا أو قطع رائحة كريهة وأتى به لزمها".

وفي كتاب "الاختيار لتعليل المختار" حسب المذهب الحنفي صفحة 171 يقول المؤلف: "ولا نفقة على من تم اغتصابها".

المودة والرحمة في القرآن والعدل

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾

سُورَةُ الرُّومِ ٢١

﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢٢٨

هل الدرجة الواحدة تعني كل هذا الذي عناه فقه المذاهب؟

أكل البشر حسب المذاهب الأربعة

هنــاك كتــب موثقــة فــي المرجعيــات الدينيــة التراثيــة والمعاصـرة الحديثـة تـدرس فـي بعـض المـدارس والمعاهـد الدينيــة المعتبــرة، أهمهــا:

"الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع":

كتــاب فــي الفقــه للشــيخ شــمس الديــن محمــد بــن محمــد الخطيــب الشــربيني (ت. 977هـ) شــرح فيــه متــن الغايــة والتقريـب المعـروف بـ"متـن أبـي شـجاع"، ويعـد مـن أهـم كتـب الشـافعية الفقهيـة وأشـهرها، وهـو مـن الكتـب المعتمـدة فـي التدريـس فـي المعاهـد والمـدارس الشـرعية الإسـلامية.

و"الشــرح الصغيــر": هــو شــرح الشــيخ الدرديــر لكتابــه المســمى (أقـرب المســالك لِمَذْهَـبِ الْإِمَــامِ مَالِـكٍ) المؤلـف: أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد الخلوتـي، الشـهير بالصــاوي المالكــي (المتوفــى: 1241هـ)

و"الاختيار لتعليل المختار":

وجـاء فـي تعريفـه: مؤلفـه عبـد اللـه بـن محمـود الموصلـي الحنفـي المتوفـى: (683هـ): وهـو كتـاب مـن مراجـع الفقـه

الإسـلامي لـدى الفقهـاء والعلمـاء فـي مذهـب الإمـام الأعظـم أبـي حنيفـة كان ولا زال منهـلاً عذبـاً لطـلاب العلـم ينهلـون منـه الفقـه بالأحـكام الشـرعية فـي المعاهـد والكليـات ودور العلـم.

و"الروض المربع بشرح زاد المستقنع":

لمنصـور بـن يونـس بـن إدريـس البهوتـي - عبـد اللـه بـن عبـد العزيـز العنقـري الحنبلـي المتوفـى: 1051هـ.

وفـي هـذه الكتـب، مـا يحـل أكل لحـوم البشـر: "وللمضطـر أكل آدمـي ميـت إذا لـم يجـد ميتـة غيـره أمـا إذا كان الميـت مسـلما والمضطـر كافـرا فإنـه لا يجـوز الأكل منـه لشـرف الإسـلام". فـي الصفحـات مـن 255 إلـى 257 مـن كتـاب الإقنـاع".

وإنـه يحـل أكل الإنسـان لبعـض جسـمه وقـت المجاعـة وللمسـلم قتـل مرتـد وأكلـه، وقتـل حربـي، ولـو صغيـرا، أو امـرأة وأكلهمـا، ولـم يتوقـف الأمـر عنـد ذلـك، حيـث يجـوز للإنسـان أكل لحمـه حيـا. وفـي الكتـاب نفسـه يقـول المؤلـف إن للمسـلم لكفايـة لشـر الكافـر أن يفقـأ عينـه، أو يقطـع يديـه ورجليـه، وكـذا لـو أسـره، أو قطـع يديـه أو رجليـه. كمـا أنـه «للمضطـر أكل آدمـي ميـت إذا لـم يجـد ميتـة غيـره، لأن حرمـة الحـي أعظـم مـن حرمـة الميـت».

ويضيف: «وحيث جوزنا أكل ميتة الآدمي لا يجوز طبخها ولا شيها لما في ذلك من هتك حرمته، ويتخير في ذلك بين أكله نيئاً وغيره».

وفي كتاب "الاختيار لتعليل المختار" في صفحة 366 تحت عنوان "أحكام المرتد" يقول الكتاب: "وإذا ارتد المسلم يُحبس ويعرض عليه الإسلام، وتُكشف شُبهته، فإن أسلم وإلا قُتل، فإن قتله قاتل قبل العرض لا شيء عليه ويزول ملكه عن أمواله زوالا مُراعَى، فإن أسلم عادت إلى حاله.

وفي صفحة 340 يقول: "أما الأسارى، فيمشون إلى دار الإسلام، فإن عجزوا قتل الإمام الرجال وترك النساء والصبيان في أرض مضيعة حتى يموتوا جوعا وعطشا، لأننا لا نقتلهم للنهي". وينبه الكاتب المسلمين في البلاد التي يفتحونها بعدم قتل الحيات والعقارب وذلك حتى يكثر نسلها فيكثر أذاها للكفار..

و أكل لحوم البشر المتوفين ليس محكوما بضرورة حفظ حياة الفرد المسلم إذا ما دعته الضرورة، فهناك حالات يكون فيها أكل لحوم البشر عقوبة للكفر وترك الدين،: «وله (للمحارب المسلم) قتل مرتد وأكله، وقتل حربي ولو صغيراً أو امرأة وأكلها، لأنهما غير معصومين،

وإنما حرم قتل الصبي الحربي، والمرأة الحربية في غير الضرورة لحرمتهما. وله قتل الزاني المحصن والمحارب وتارك الصلاة ومن له عليه قصاص حتى وإن لم يأذن الإمام في القتل لأن قتلهم مستحق، وإنما يكون إذنه تأدباً معه، وفي الضرورة ليس فيها رعاية أدب».

لكن الكتاب يخفف من حكم أكل الصبية المحاربين في مواجهة المسلمين، نظرا لما لهم من قيمة اقتصادية عند أسرهم وبيعهم أو استخدامهم كرقيق، فيقول الكتاب: «وحكم مجانين أهل الحرب، وأرقائهم (أي عبيدهم) وخناثاهم كصبيانهم، وقال ابن عبد السلام، ولو وجد المضطر صبيًا مع بالغ حربيين أكل البالغ وكف عن الصبي، لما في أكله من ضياع المال، ولأن الكفر الحقيقي أبلغ من الكفر الحكمي».

وبعد... القتل ثم القتل ثم القتل، وفقأ الأعين وقطع الأيدي والأرجل من خلاف، وأكل الأموات. أين كل ذلك من كتاب الله وسنّة نبيّه؟

وأين آيات الله من الأسارى الذين: " إن عجزوا عن المشي، قتل الإمام الرجال وترك النساء والصبيان في أرض مضيعة حتى يموتوا جوعا وعطشا، لأننا لا نقتلهم للنهي".

أين ذلك من قوله تعالى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾
سُورَةُ مُحَمَّدٍ ٤

أو قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾
سُورَةُ الإِنسَانِ ٨

اختلافات المفسرين

هنــاك ظاهــرة تثيــر الحيــرة، وهــي ظاهــرة عامــة وشــاملة لكتــب التفاســير، أعنــي بهــا اختلافــات المفســرين لكتــاب اللــه، وهــي لضخامتهــا أثقلــت التــراث بأحمــال واحتمــالات جــاوزت التصــور. لقــد اختلفــوا علــى كل أمــر، ســواء فــي القصــص القرآنــي أو الأحــكام العمليــة أوالعقيــدة أو معانــي الألفــاظ أو فــي القــراءات وفــي غيــر ذلــك الكثيــر.

لا منــاص هنــا مــن القــول إن الباحــث لا يســتطيع إدراك حقيقــة الاختــلاف عندهــم، وإن التفســير لا زال محاطًــا بكثيــر مــن الإشــكالات حيــث يســتعصي تحريــر محــل النــزاع فيهــا لتراكــم الاختــلاف علــى مــدى الأزمنــة المتعاقبــة.

إن مـا يلفـت النظـر أن الاختـلاف فـي التفسـير يعـود إلـى أيام الصحابـة والتابعيـن مـن بعدهـم، ومن ثـم تتالـت الاختلافات.

وفــي مراجعــة خاطفــة لعناويــن هــذه الاختلافــات نســجل: اختـلاف فـي التعابيـر وفـي تفسـير الألفاظ ببعـض متضمناتها والاختـلاف فـي أسـباب النـزول وفـي حـروف المعانـي وفـي الإعـراب وفـي الخـاص والعـام وفـي المطلـق والمقيـد.

قــد يكــون التعصــب المذهبــي واتبــاع الأهــواء والاعتمــاد علــى الإســرائيليات ثــم الاختلافــات العقديــة والفقهيــة بيــن المفســرين وراء كل هــذه الاختلافــات، لكــن الســؤال الــذي يُطـرح، هـل يصـح أن يكـون كل ذلـك علـى حسـاب القـرآن الكريـم؟!

آية واحدة تعكس المدى التي بلغته الاختلافات

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ١٠٢

لقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية اختلافا عجيبًا.

اختلفوا في مرجع ضمير قوله: اتبعوا، أهم اليهود الذين كانوا في عهد سليمان، أو الذين في عهد رسول الله؟

واختلفوا في قوله، تتلوا، هل هو بمعنى تتبع الشياطين، أو بمعنى تكذب؟

واختلفوا في قوله، الشياطين، فقيل هم شياطين الجن وقيل شياطين الإنس وقيل هما معا.

واختلفوا في قوله، على ملك سليمان، فقيل معناه في ملك سليمان، وقيل معناه في عهد ملك سليمان.

واختلفوا في قوله، ولكن الشياطين كفروا، فقيل إنهم كفروا بما استخرجوه من السحر إلى الناس وقيل إنهم كفروا بما نسبوه إلى سليمان من السحر.

واختلفوا في قوله، يعلمون الناس السحر، فقيل إنهم ألقوا السحر إليهم فتعلموه، وقيل إنهم دلوا الناس على استخراج السحر.

واختلفوا في قوله، وما أنزل على الملكين فقيل ما موصولة والعطف على قوله ما تتلوا، وقيل ما موصولة والعطف على قوله السحر.

واختلفوا في معنى الإنزال فقيل إنزال من السماء وقيل بل من نجود الأرض وأعاليها.

واختلفوا في قوله، الملكين، فقيل كانا من ملائكة السماء، وقيل بل كانا إنسانين.

واختلفوا في قوله، ببابل، فقيل هي بابل العراق وقيل بابل نهاوند، وقيل، من نصيبين إلى رأس العين.

واختلفوا في قوله، وما يعلمان، فقيل علم بمعناه الظاهر، وقيل علم بمعنى أعلم.

واختلفوا في قوله، فلا تكفر، فقيل، لا تكفر بالعمل بالسحر، وقيل لا تكفر بتعلمه.

واختلفوا في قوله، فيتعلمون منهما، فقيل أي من هاروت وماروت، وقيل أي من السحر والكفر.

واختلفوا في قوله، ما يفرقون به بين المرء وزوجه، فقيل أي يوجدون به حبا وبغضا بينهما، وقيل إنهم يغرون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك فيفرق بينهما اختلاف الملة والنحلة وقيل إنهم يسعون بينهما بالنميمة والوشاية.

فهذه نبذة من الاختلاف في تفسير كلمات ما يشتمل على القصة من هذه الآية.

من أقوال المفسرين (أيضاً) في قوله تعالى: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)

قول للفخر الرازي

قولـه تعالـى (واتبعـوا) حكايـة عمـن تقدّم ذكـره وهـم اليهود، ثـم فيه أقـوال:

أحدهـا: أنهـم اليهـود الذيـن كانـوا فـي زمـان محمـد عليـه الصـلاة والسـلام، وثانيهـا: أنهـم الذيـن تقدمـوا مـن اليهـود، وثالثهـا: أنهـم الذيـن كانـوا فـي زمـن سـليمان عليـه السـلام مـن السـحرة لأن أكثـر اليهـود ينكـرون نبـوة سـليمان عليـه السـلام ويعدونـه مـن جملـة الملـوك فـي الدنيـا، فالذيـن كانـوا منهـم فـي زمانـه لا يمتنـع أن يعتقـدوا فيـه أنـه إنمـا وجـد ذلـك الملـك العظيـم بسـبب السـحر، ورابعهـا: أنـه يتنـاول الـكل وهـذا أولـى لأنـه ليـس صـرف اللفـظ إلـى البعـض أولـى مـن صرفـه إلـى غيـره، إذ لا دليـل علـى التخصيـص.

قـال السـدي لمـا جاءهـم محمـد عليـه الصـلاة والسـلام عارضـوه بالتـوراة فخاصمـوه بهـا فاتفقـت التـوراة والقـرآن فنبـذوا التـوراة وأخـذوا بكتـاب آصـف وسـحر هـاروت ومـاروت فلـم يوافـق القـرآن، فهـذا قولـه تعالـى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾
سُورَةُ البَقَرَةِ ١٠١

ثم أخبر عنهم بأنهم اتبعوا كتب السحر".

قول للطبري

"والصـواب مـن القـول فـي تأويـل قولـه: (واتبعـوا مـا تتلـوا الشـياطين علـى ملـك سـليمان)، أن ذلـك توبيـخ مـن اللـه لأحبـار اليهـود الذيـن أدركـوا رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم، فجحـدوا نبوتـه، وهـم يعلمـون أنـه للـه رسـول مرسـل، وتأنيـب منـه لهـم فـي رفضهـم تنزيلـه، وهجرهـم العمـل بـه، وهـو فـي أيديهـم يعلمونـه ويعرفـون أنـه كتـاب اللـه، واتباعهـم واتبـاع أوائلهـم وأسـلافهم مـا تلتـه الشـياطين فـي عهـد سـليمان. وقـد بينـا وجـه جـواز إضافـة أفعـال أسـلافهم إليهـم فيمـا مضـى، فأغنـى ذلـك عـن إعادتـه فـي هـذا الموضـع.

وإنمـا اخترنـا هـذا التأويـل، لأن المتبـع مـا تلتـه الشـياطين، فـي عهـد سـليمان وبعـده إلـى أن بعـث اللـه نبيـه بالحـق، وأمـر السـحر لـم يـزل فـي اليهـود. ولا دلالـة فـي الآيـة أن اللـه تعالـى أراد بقولـه: (واتبعـوا) بعضـا منهـم دون بعـض. إذْ كان جائـزا فصيحـا فـي كلام العـرب إضافـة مـا وصفنـا- مـن اتبـاع أسـلاف المخبـر عنهـم بقولـه: (واتبعـوا مـا تتلـوا الشـياطين) إلـى أخلافهـم بعدهـم، ولـم يكـن بخصـوص ذلـك عـن رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم أثـر منقـول، ولا حجـة تـدل عليـه. فـكان الواجـب مـن القـول فـي ذلـك أن يقـال: كل متبـع مـا تلتـه الشـياطين علـى عهـد سـليمان مـن اليهـود، داخـل فـي معنـى الآيـة، علـى النحـو الـذي قلنـا".

اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره:

إن أهم أسباب وقوع الخلاف بين المفسرين قديمًا وحديثًا يتمثل في: أولا: القراءات المتواترة للقرآن الكريم، واختلاف مقاييس قبول القراءة عند كل مفسر، واعتماد بعض المفسرين على قراءة متواترة تخالف أغلب ما اعتمد عليه المفسرين وهي رواية حفص. ثاني هذه الأسباب: المباحث البيانية واللغوية والنحوية، ومدى مطالعة كل مفسر وتمكنه من مفردات اللغة وتراكيبها المتعددة وأثر هذا التباين في فهم مفردات اللغة، وأثر البيئة اللغوية المحيطة بالمفسر في اختلاف التفسير. ثالث هذه الأسباب هو: دعاوى النسخ والاختلاف في الناسخ والمنسوخ، وعدم تمكن بعض المفسرين من معرفة زمن النزول أو سببه والذي يعد المبحث الرئيس في معرفة الناسخ والمنسوخ من آي القرآن. رابع هذه الأسباب العامة عند المفسرين والداعية إلى اختلافهم في تفاسيرهم هو: موقف المفسرين من القضايا العقلية وفهم هؤلاء المفسرين للمحكم والمتشابه من آي القرآن الكريم.

أما الأسباب الخاصة لاختلاف المفسرين فأهمها:

أولًا: الاختلاف في مقاييس وقواعد الحكم على سند الروايات المفسرة لآي القرآن الكريم.

ثانيا: الاختلاف في مقاييس وقواعد نقد المتن لروايات تفسير القرآن الكريم.

ثالثا: الاختلاف العقدي والانتماء الفكري لكل مفسر، فتفسيرات المعتزلة تختلف عن تفسيرات الأشعرية وهذه تختلف عن تفسيرات الآخذين بمنهج السلف الصالح من المفسرين.

رابعا: الانتماء المذهبي والاختلاف الفقهي، فتفسيرات المالكية تختلف ولو قليلا عن تفسيرات الشافعية عن تفسيرات الظاهريين، وخصوصًا فيما يتعلق بآيات الأحكام وأدلتها التفصيلية.

خامسا: الاختلاف في مصادر التشريع فيما ليس فيه نص محكم، فبعض المفسرين يقدم قول الصحابي والبعض الآخر يأخذ بالقياس أو الاستحسان أو الاستصحاب، وكلها فيما ليس فيه نص صحيح صريح.

علم رباني أم إسرائيليات كانت متداولة؟

في تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ٣٠

عند ابن كثير:

"يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم، فقال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة) أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك. وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية [وهو أبو عبيدة] أنه زعم أن " إذ " هاهنا زائدة، وأن تقدير الكلام: وقال ربك. ورده ابن جرير.

قال القرطبي: وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج: هذا اجتراء من أبي عبيدة.

(إني جاعل في الأرض خليفة) أي: قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، كما قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ سُورَةُ الأَنْعَامِ ١٦٥

وقال ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ ٦٢

وقال ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ ٦٠

وقال ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ ٥٩

[وقرئ في الشاذ: " إني جاعل في الأرض خليقة " حكاه الزمخشري وغيره ونقلها القرطبي عن زيد بن علي].
وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم - عليه السلام - فقط، كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل، وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير، حكاه فخر الدين الرازي في تفسيره وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون [أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس فيما يقع بينهم من المظالم، ويرد عنهم المحارم والمآثم، قاله القرطبي] أو أنهم قاسوهم على من سبق، كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم، كما قد يتوهمه بعض المفسرين [وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي: لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقا. قال قتادة: وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا: أتجعل فيها الآية] وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي: نصلي لك كما سيأتي، أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال: (إني أعلم ما لا تعلمون) أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله، صلوات الله وسلامه عليهم ".

بذل الجهد في
الاختلاف في لون البقرة

فى قوله تعالى ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ٦٩

عند الطبري: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (صفراء). فقال بعضهم: معنى ذلك سوداء شديدة السواد.

ذكر من قال ذلك منهم:

- حدثني أبو مسعود إسماعيل بن مسعود الجحدري قال، حدثنا نوح بن قيس، عن محمد بن سيف، عن الحسن: صفراء فاقع لونها، قال: سوداء شديدة السواد.

حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة. والمثنى بن إبراهيم قالا حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا نوح بن قيس، عن محمد بن سيف، عن أبي رجاء، عن الحسن مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: صفراء القرن والظلف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني هشام بن يونس النهشلي قال، حدثنا حفص بن غياث، عن أشعث، عن الحسن في قوله: صفراء فاقع لونها، قال: صفراء القرن والظلف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثني هشيم قال، أخبرنا جويبر، عن كثير بن زياد، عن الحسن في قوله: صفراء فاقع لونها، قال: كانت وحشية.

حدثني يعقوب قال، حدثنا مروان بن معاوية، عن إبراهيم، عن أبي حفص، عن مغراء - أو عن رجل -عن سعيد بن جبير: بقرة صفراء فاقع لونها، قال: صفراء القرن والظلف.

حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: هي صفراء.

حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: إنها بقرة صفراء فاقع لونها، قال: لو أخذوا بقرة صفراء لأجزأت عنهم.

قال أبو جعفر: وأحسب أن الذي قال في قوله: صفراء، يعني به سوداء، ذهب إلى قوله في نعت الإبل السود " هذه إبل صفر، وهذه ناقة صفراء " يعني بها سوداء. وإنما قيل ذلك في الإبل لأن سوادها يضرب إلى الصفرة، ومنه قول الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي

هن صفر أولادها كالزبيب

يعني بقوله: " هن صفر " هن سود وذلك إن وصفت الإبل به، فليس مما توصف به البقر. مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع، وإنما تصف السواد -إذا وصفته- بالشدة بالحلوكة ونحوها، فتقول: " هو أسود حالك وحانك وحُلكوك، وأسود غِربيب ودَجوجي" - ولا تقول: هو أسود فاقع. وإنما تقول: " هو أصفر فاقع ". فوصفه إياه بالفقوع، من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله: إنها بقرة صفراء فاقع المتأول، بأن معناه سوداء شديدة السواد.

القول في تأويل قوله تعالى: فَاقِعٌ لَوْنُهَا

قال أبو جعفر: يعني خالص لونها. و " الفقوع " في الصفر، نظير النصوع في البياض، وهو شدته وصفاؤه، كما:

- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، قال قتادة: (فاقع لونها) هي الصافي لونها.

- حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (فاقع لونها) أي صاف لونها.

- حُدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله.

- حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي فاقع، قال: نقي لونها.

- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس: فاقع لونها، شديدة الصفرة، تكاد من صفرتها تَبْيَضُّ. وقال أبو جعفر: أُراه أبيض!

- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله (فاقع لونها)، قال: شديدة صفرتها.

أجمل وأرقى الآيات جرى تشويهها

في قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
سُورَةُ الرُّومِ ٢١

عند الرازي (التفسير الكبير)

"لما بين الله خلق الإنسان، بيّن أنه لما خلقه، ولم يكن من الأشياء التي تبقى وتدوم سنين متطاولة أبقى نوعه بالأشخاص وجعله بحيث يتوالد، فإذا مات الأب يقوم الابن مقامه لئلا يوجب فقد الواحد ثلمة في العمارة لا تنسد، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **خلق لكم (دليل على أن النساء خلقن كخلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع، كما قال تعالى:** ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ٢٩
وهذا يقتضي أن لا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف، فنقول: خلق النساء من النعم علينا وخلقهن لنا وتكليفهن لإتمام النعمة علينا لا لتوجيه التكليف نحوهن مثل توجيهه إلينا وذلك من حيث النقل والحكم والمعنى، أما النقل فهذا وغيره، وأما الحكم فلأن المرأة لم تكلف بتكاليف كثيرة كما كلف الرجل بها، وأما المعنى فلأن المرأة ضعيفة الخلق سخيفة فشابهت الصبي، لكن الصبي لم يكلف فكان يناسب أن لا تؤهل المرأة للتكليف، لكن النعمة علينا ما كانت تتم إلا بتكليفهن لتخاف كل واحدة منهن العذاب فتنقاد للزوج وتمتنع عن المحرم، ولولا ذلك لظهر الفساد".

سؤال

أهكذا يكون التدبر في كتاب الله تعالى وهو المعجز فصاحة وبلاغة وحسن بيان... أم على قلوب أقفالها؟ وهل فهم القرآن يتطلب هذه الأطنان من المصنفات والخلافات والاختلافات؟!

ترتيب السور والآيات

لا شك – قطعاً- في أنّ القرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله الموحى به إلى النبي محمد ﷺ بواسطة جبريل. ولكن السؤال المطروح، هل كان ترتيب السور والآيات توقيفيًا أي أنّ النبي ﷺ قام به أم حصل بحسب رأي واجتهاد الصحابة؟

بحسب الروايات:

في المسند والسنن أن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفال، وهي من المثاني فجعلتموهما في السبع الطوال، ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال

عثمان: كان النبي صلى الله عليه وسلم لما تنزّل عليه الآيات، يدعو بعض من كان يكتب له، ويقول له ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآية والآيتان، فيقول مثل ذلك، وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فمن هناك وضعتها في السبع الطوال، ولم أكتب بينهما سطر، بسم الله الرحمن الرحيم.

وأما ترتيب السور حسبما هي في المصحف، فقد اختلف فيه أهل العلم: هل كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم؟ أم أنه اجتهاد من الصحابة؟

فالجمهور على أنه اجتهاد من الصحابة استوحوه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذكره لبعض السور مرتبة حسبما في المصحف الآن، كقوله: "اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران..." أخرجه مسلم.

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن ترتيب السور كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن الأنباري: (أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويوقف جبريل

النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة أو أخرها، فقد أفسد نظم القرآن).

ويبدو أن الخلاف بين الفريقين خلاف لفظي، كما قال الزركشي في البرهان، لأن القائل بأن الترتيب اجتهادي يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم رمز للصحابة بذلك، واستوحوه من قراءته وقوله كما تقدم، ولذلك قال الإمام مالك رحمة الله عليه - وهو من القائلين بأنه اجتهادي-: إنما ألّفُوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم.

فآل الخلاف بين الفريقين إلى أنه هل كان ذلك بتوقيف قولي أو بمجرد إسنادٍ فعلي بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر؟

وقد مال ابن عطية إلى قول ثالث: هو أن الكثير من السور علم ترتيبه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كالسبع الطوال والحواميم والمفصل.

وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه للأمة بعده.

يلاحظ من هذا النص الأمور التالية:

أن عثمان (ظن أن سورة براءة من سورة الأنفال فلم يفصل بينهما بالبسملة).

والجمهور على أن الترتيب اجتهاد من الصحابة.

وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن الترتيب كان بتوقيف من النبي ﷺ.

ومال ابن عطية إلى قول ثالث: هو أن الكثير من السور علم ترتيبه في حياة النبي

وأن ما سوى ذلك **يمكن أن** يكون فوض الأمر فيه للأمة بعده.

إذًا، الظن والاختلاف والقول بـ (الممكن)، أمور حاكمة لمسألة ترتيب السور والآيات وكل

ذلك قائم على الروايات وعلى (قيل وقال).

أمثلة من
القرآن الكريم

إننــا بعرضنــا للأمثلــة التاليــة نصــف واقــع النــص القرآنــي كمــا هــو فــي القــرآن، مــن حيــث ترتيــب بعــض الآيــات أو اختلافــات الإمــلاء بالإضافــة إلــى إشــكاليات مراعــاة قواعــد النحــو العربــي فــي بعضهــا، آخذيــن بعيــن الاعتبــار أنّ ذلــك مــا كان لا بحســب النــزول، ولا بأمــر مــن الرســول صلــى اللــه عليــه وآلــه، وأنّ لجنــة التأليــف والنســاخ - كمــا ذُكِــر أعــلاه - هــي التــي تصرفــت فــي هــذا الترتيــب وهــذا الإملاء. ثــم إن بعــض المفســرين أشــاروا إليهــا.

من حيث الترتيب

هنــاك آيــات نزلــت فــي خبــر، ثــم انقطعــت قبــل تمامهــا، وجــاءت آيــات أخــرى، ثــم عُطــف بعــد ذلــك علــى الخبــر الأول، كقولــه فــي سُورَةُ العَنكَبُوتِ:

وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ
إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا
فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾
وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ
ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم
بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ
يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾

ومثل ذلك في سُورَةُ لُقۡمَانَ ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ ﴿١٣﴾

(هنا انقطع الخبر)

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾

(هنا اتصل الخبر)

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾

مثال آخر: الخبر في سُورَةُ الفُرۡقَانِ

وجوابه في سُورَةُ العَنكَبُوتِ

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ سُورَةُ الفُرۡقَانِ ٥

قوله أساطير الأولين اكتتبها، هو قول النضر بن الحارث الذي قال، أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ، فهي تتلى عليه بكرة وأصيلا. فنزلت:

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ سُورَةُ العَنكَبُوتِ ٤٨

شبهات التقديم والتأخير

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٌ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةًۚ﴾ سُورَةُ هُودٍ ١٧

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٌ مِّنۡهُ إِمَامًا وَرَحۡمَةًۚ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ﴾

﴿يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّـٰكِعِينَ﴾

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ ٤٣ ٱرۡكَعِي وَٱسۡجُدِي

﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ سُورَةُ الكَهۡفِ ٦

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِ هِمْ أسَفًا إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ.

شبهات (خطأ النساخ)

الرسم الإملائي المخالف للرسم العثماني الإملائي

روي أن عثمان بعد مراجعة أول نسخة من القرآن قال: إنني أرى أخطاء لغوية فيه، وإن العرب سوف يقرؤونه بالطريقة الصحيحة لأنه نزل على لسانهم. ثم قيل بعد ذلك إن ابن الخطيب الذي ذكر لنا الرواية السابقة في كتابه " الفرقان " ذكر رواية أخرى عن عائشة، أن واحدة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إن هناك ثلاثة أخطأ لغوية في) القرآن، في مثل قوله تعالى: (قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضهما......) (هذان) اسم إن فالوجوب نصبه بالياء لأنه مثنى. وقوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم والآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي قوله والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا) تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

الصابئـون اسـم إن والقاعـدة باليـاء الصابئيـن لآنـه جمـع مذكر سـالم ومثلـه الراسـخون اسم (لكـن) ومثلـه المؤتـون لأنـه معطـوف علـى منصـوب وكـذا المؤمنـون.

واعتبـر مؤلفـون مسـلمون قدامـى (حسـب الروايـات) أن ثمـة سـرًا إلهيًـا وراء الرسـم العثمانـي المخالـف للرسـم الإملائـي. غيـر أن ابـن خلـدون (ت. 1406م.) يرفـض هـذا الادعـاء ويعتبـر الإمـلاء القرآنـي عيبًـا ناتجًـا عـن كَتَبَتِـه (و روي مثـل هـذا عـن أم المؤمنيـن عائشـة)، هـذا الذيـن كانـوا يجهلـون الكتابـة الصحيحـة، وتـداول الكتبـة اللاحقـون نفـس الأغـلاط تبـركًا بالماضـي. فهـو يقـول:

"وانظـر مـا وقـع [...] فـي رسـمهم المصحـف حيـث رسـمه الصحابـة بخطوطهـم وكانـت غيـر مسـتحكمة فـي الإجـادة فخالـف الكثيـر مـن رسـومهم مـا اقتضتـه أقيسـة رسـوم صناعـة الخـط عنـد أهلهـا ثـم اقتفـى التابعـون مـن السـلف رسـمهم فيهـا تبـركًا بمـا رسـمه أصحـاب النبـي ﷺ.

من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه. كما يقتفى لهذا العهد خط ولي أو عالم، تبركًا، ويتبع رسمه خطأً أو صوابًا. وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه؟ فاتبع ذلك وأثبت رسمًا ونبّه العلماء بالرسم على مواضعه. ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا (الصحابة) محكمين لصناعة الخط وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكل منها وجه. يقولون في مثل زيادة الألف في ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ لَا أذْبَحَنَّهُ سُورَةُ النَّمْلِ ٢١ إنه تنبيه على الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في بِأَيْيد ﴿بِأَيْيْد﴾ سُورَةُ الذَّارِيَاتِ ٤٧

إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض. وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهًا للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط. وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح. واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيته فيما مر. والكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس". (انظر كتاب تاريخ ابن خلدون، الجزء الأول، ص 419).

ونجد الذي ينتقده ابن خلدون عند مؤلفين معاصرين.
فهذا الزرقاني (ت. 1948م.) يقول في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»:

"وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضًا معجز. وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في مائة دون مئة. وإلى سر زيادة الألف في سعوا بالحج ونقصانها من سعوا بسبأ وإلى سر زيادتها في عتوًا حيث كان نقصانها من عتو في الفرقان وإلى سر زيادتها في آمنوا وإسقاطها من باؤ و جاؤ تبوؤ فاؤ بالبقرة وإلى سر زيادتها في يعفوا ونقصانها من يعفو عنهم في النساء أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من قرءانا بيوسف والزخرف وإثباتها في سائر المواضع وإثبات الألف بعد واو سموات في فصلت وحذفها من غيرها. وإثبات الألف في الميعاد مطلقًا وحذفها من الموضع الذي في الأنفال وإثبات الألف في سراجًا حيثما وقع وحذفه من موضع الفرقان وكيف تتوصل إلى فتح بعض التاءات وربطها في بعض فكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية. وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني."(الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء الأول، ص 314.)

إشكالات (خطأ النساخ)

في النحو

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ سُورَةُ المَائـِدَةِ ٦٩

للنحـاة والمفسـرين فـي هـذه الآيـة عـدة آراء، سـنعرضها كمـا يلـي:

الأول: مـا قالـه جمهـور نحـاة البصـرة، الخليـل وسـيبويه وأتباعهمـا، قالـوا: إنّ " الصابئـون " مرفـوع علـى أنـه "مبتـدأ" وخبـره محـذوف يـدلّ عليـه خبـر مـا قبلـه "إنّ الذيـن آمنـوا" قالـوا: والنيـة فيـه التأخيـر، أي تأخيـر "والصابئـون" إلـى مـا بعـد "والنصـارى". وتقديـر النظـم والمعنـى عندهـم: "إن الذيـن آمنـوا والذيـن هـادوا والنصـارى مـن آمـن منهـم باللـه واليـوم الآخـر فـلا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنـون والصابئـون كذلـك".

ومن شواهد هذا الحذف عند العرب قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما...عندك راض والرأي مختلف

فقد حذف الخبر من المبتدأ الأول، وتقديره "راضون" لدلالة الثاني عليه "راض".

والمعنى: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض.

وقول الآخر:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله... فإني وقيَّار بها لغريب

والتقدير: فإني لغريب وقيار كذلك.

وقول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم.....بغاة ما بقينا في شقاق

الشاعر يصف الفريقين أنهم "بغاة " إنْ استمرّوا في الشقاق، والتقدير:

اعلموا أنّا بغاة وأنتم كذلك.

وهكذا ورد في الاستعمال اللغوي عند العرب، أنّ الجملة الاسمية المؤكدة بـ "إنّ" يجوز أن يذكر فيها مبتدأ آخر غير اسم "إنّ" وأنْ يذكر خبر واحد يكون لاسم "إنّ" ويحذف خبر المبتدأ الثاني لدلالة خبر اسم "إنّ" عليه، أو يحذف خبر اسم "إنّ" ويكون الخبر المذكور للمبتدأ

الثانــي دليـلًا علــى خبـر اسـم "إنّ" المحـذوف ونظـم الآيـة التــي كانــت منشــأ الشــبهة عندهـم لا يخـرج عـن هـذه الأســاليب الفصيحــة، التــي عرفناهـا فــي الأبيــات الشـعرية الثلاثــة، وهــي لشــعراء فصحــاء يستشــهد بكلامهـم.

الثانــي: أنّ "إنّ" فــي قولــه تعالــى: "إنّ الذيـن آمنـوا" ليسـت هــي "إنَّ" الناسـخة، التــي تنصـب المبتـدأ وترفـع الخبـر، بـل هــي بمعنــى: نعـم، يعنــي حـرف جـواب، فـلا تعمـل فــي الجملــة الاســمية لا نصبًــا، ولا رفعًــا، وعلــى هـذا فالــذي بعدهـا مرفـوع المحـل، لأنّ "الذيـن" اسـم موصـول، وهـو مبنــي فــي محـل رفـع، وكذلـك "الصابئـون" فإنــه مرفـوع لفظًــا، وعلامــة رفعــه "الــواو" لأنــه جمـع مذكـر ســالم، مفـرده "صابــئ "

وقد استعملها العرب كذلك. قال قيس بن الرقيات:

برز الغواني من الشباب... يلمنني، وألومهنَّهْ

ويقلن شيبٌ قد علاك... وقد كبرتَ، فقلت إنَّهْ

أي فقلت: نعم.

وعلــى هـذا فإن كلّا من "الذين" و "الصـابئون" و"النصـارى"، أسـماء مرفوعـة إمـا محـلًا، وهمـا: "الذيـن" فهـي مبنيـة فـي محـل رفـع، والنصـارى مرفوعـة بضمـة مقـدرة لأنهـا اسـم

مقصـور لا تظهـر علـى آخـره حـركات الإعـراب، وإمـا لفظًـا مثـل: "الصابئـون" فهـي مرفوعـة لفظًـا بـواو الجماعة.

وعليـه كمـا كان فـي المذهـب الأول فـلا خطـأ فـي الآيـة كمـا زعـم خصـوم القـرآن.

أمـا المفسـرون فقـد اختـار الزمخشـري منهـم المذهـب الأول المعـزو إلـى جمهـور علمـاء البصـرة، ومـن شـيوخهم الخليل وسـيبويه، فقال:

" والصابئـون" رفـع علـى الابتـداء، وخبـره محـذوف والنيـة بـه التأخيـر عمـا فـي حيـز إن مـن اسـمها وخبرهـا كأنـه قيـل:

" إن الذيـن آمنـوا والذيـن هـادوا والنصـارى حكمهـم كـذا، والصابئـون كذلـك"

وقال الإمام الشوكاني:

" والصابئــون" مرتفــع علــى الابتــداء، وخبــره محــذوف والتقديـر: إنّ الذيـن آمنـوا والذيـن هـادوا مـن آمـن منهـم باللـه واليـوم الآخـر وعمـل صالحًـا فـلا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنـون والصابئـون والنصـارى كذلـك.

وقد ألمح الإمام الشوكاني إلى إضافة جديدة خالف بها كلًا من الخليل وسيبويه والزمخشري، لأن هؤلاء جعلوا "الصابئون" مقدمًا من تأخير كما تقدم، أما هو فجعله قارًّا في موضعه غير مقدم من تأخير بدليل قوله:

" والصابئون والنصارى كذلك" وهذه إضافة حسنة ومقبولة. وعليه يمكن جَعْل "النصارى" مرفوعة عطفاً على "الصابئون" ولا حاجة إلى جعلها منصوبة عطفًا على "إن الذين آمنوا"، والواقع أن هذا المذهب على جملته الذي ذهب إليه جمهور علماء البصرة، وتابعهم فيه الإمام الشوكاني هو أقوى ما أورده النحاة في توجيه رفع "الصابئون" في هذه الآية الكريمة. أما بقية الآراء، فهي دون ذلك بكثير.

هذا هو توجيه رفع "الصابئون" عند جمهور النحاة والمفسرين، أما توجيهه بلاغة فهو ما يأتي:

إن مخالفة إعراب "الصابئون" عمّا قبلها سواء كانت مقدمة من تأخير على رأي الجمهور أو غير مقدمة على رأي الإمام الشوكاني وآخرين.

وعما بعدها إن قدرنا "والنصارى" معطوفًا على "إنّ الذين آمنوا والذين هادوا، بأنّ هذه المخالفة لمحة بلاغية رائعة، تشير إلى وجود فرق كبير بين هذه الطوائف

الأربـع:

- الذين آمنوا.
- الذين هادوا
- النصارى.
- الصابئون.

فالطوائـف الثـلاث الأولـى يربـط بينهـا رابـط قـوي هـو أن كل طائفـة منهـا لهـا كتـاب ورسـول مـن عنـد اللـه عـز وجل.

فالذيـن آمنـوا لهـم كتـاب هـو القـرآن، ورسـول هـو محمـد صلـى اللـه عليـه وسـلم.

والذيـن هـادوا لهـم كتـاب هـو التـوراة، ولهـم رسـول هـو موسـى عليـه السـلام.

والنصـارى لهـم كتـاب هـو الإنجيـل، ولهـم رسـول هـو عيسـى عليـه السـلام.

أمـا الصابئـون، فليـس لهـم كتـاب ولا رسـول، وهـم علـى ضـلال مطبـق لا ذرة مـن هدايـة فيـه.

والمقـام الـذي تتحـدث عنـه الآيـة هـو فتـح بـاب القبـول عنـد اللـه لـكل مـن آمـن إيمانًـا صحيحًـا صادقًـا وداوم علـى عمـل الصالحـات. فالإيمـان يمحـو مـا قبلـه ولا ينظـر اللـه

إلـى ماضيهـم الـذي كانـوا عليـه مـن كفـر ومعـاصٍ، والآيـة بـدأت بالذيـن آمنـوا ليسـتمروا علـى إيمانهـم الـذي هـم فيـه، ويلتزمـوا بعمـل الصالحـات واللـه سـيجزيهم خيـر الجـزاء علـى إيمانهـم المسـتمر، وصلاحهـم الدائـم.

ثـم ثنّـت بالذيـن هـادوا، يعنـى: اليهـود، وهـم كانـوا في عصر نـزول القـرآن قـد غالـوا فـي دينهـم، وحـادوا عـن الحـق، وغيَّـروا وبدَّلـوا فيمـا أنزلـه اللـه علـى أنبيائهـم فوعدهـم اللـه إذا آمنـوا إيمانًـا صحيحًـا صادقًـا، وتابـوا إلـى اللـه مـن كل مـا ابتدعـوه فـي عقائدهـم واتبعـوا مـا أنـزل اللـه علـى خاتـم رسـله، بأنهـم سيكونون فـي أمـنٍ مـن عـذاب اللـه، لا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنـون.

وكذلـك النصـارى حيـث جعلـوا للـه صاحبـة وولـدا وغالـوا كثيـرًا فـي دينهـم، إذا آمنـوا إيمانًـا صحيحًـا صادقًـا، وبرئـوا مـن عقائدهـم التـي ابتدعوهـا، وأصلحـوا شـأنهم، وآمنـوا بمـا أنزلـه اللـه علـى خاتـم رسـله، ولزمـوا العمـل الصالـح، كان سـعيهم عنـد اللـه مشـكورًا، ووقاهـم اللـه عـز وجـل مـن الخـوف والحـزن يـوم يقـوم النـاس لـرب العالميـن.

ثـم زاد اللـه فـي ترغيـب هـذه الفـرق الثـلاث فيمـا عنـده بـأن يجعـل هـذا الفضـل للصابئيـن الذيـن خرجـوا عـن جميـع الرسـالات السـماوية، وإذا كان اللـه يقبـل منهـم إيمانهـم إذا

آمنـوا، ويثيبهـم علـى عمـل الصالحـات. فـإن الذيـن آمنـوا واليهـود والنصـارى أولـى بالقبـول عنـد اللـه، إذا آمنـوا وعملـوا الصالحـات.

ومـن أجـل هـذا خولـف إعـراب و "الصابئـون" ليلفـت الأذهـان عنـد قـراءة هـذه الآيـة أو سـماعها إلـى الوقـوف أمـام هـذه المخالفـة، وليتسـاءل القـارئ أو السـامع مـا سبب هـذه المخالفـة، ثـم يقـوده هـذا التسـاؤل إلـى الحصـول علـى هـذا المعنـى الـذي تقـدم.

فهـذه المخالفـة أشـبه مـا تكـون بالنبـر الصوتـي فـي بعـض الكلمـات، التـي يـراد لفـت الأنظـار إليهـا عنـد السـامعين، قالـوا: والـواو فـي "والصابئـون" ليسـت لعطـف المفـردات علـى نظائرهـا، وإنمـا هـي لعطـف "الجُمـل" و"الـواو" التـي تعطـف جملـة علـى أخـرى لا تعمـل فـي مفـردات الجملـة المعطوفـة، لا رفعًـا ولا نصبًـا ولا جـرًا. بـل تربـط بيـن الجملتيـن المعطوفـة والمعطـوف عليهـا فـي المعنـى دون الحـركات الإعرابيـة.

ولهـذه الآيـة نظائـر فـي مخالفـة إعرابهـا لمـا قبلهـا اتخـذ منهـا خصـوم القـرآن منشـأ لشـبهات مماثلـة وسـيأتي الحديـث عنهـا كلّا فـي موضعـه إذا شـاء اللـه تعالـى.

والخلاصة:

إنّ هذه الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ٦٢

(تخلو من أيّ خطأ نحوي أو غير نحوي. بل هي في غاية الصحة والإعجاز، وقد بيّنا وجوه صحتها، والمعاني البيانية التي ألمح إليها رفع "الصابئون" وهؤلاء الذين يلحدون في آيات الله لا دراية لهم بالنحو ولا بالصرف ولا بالبلاغة، وليسوا هم طلاب حق، ولا باحثين عنه، والذي سيطر على كل تفكيرهم هو البحث "عن العورات" في كتاب لا عورات فيه بل هو أنقى وأبلغ وأفصح وأصح، وأصدق بيان في الكون كله، ولا يأتوننا بمثل إلا جئناهم بالحق وما هم بسابقين.

الذين هادوا ليست معطوفة على اسم إنّ في قوله "إن الذين آمنوا" وإنما معطوفة على الجملة وهو أسلوب عربي لا تنكره العرب، والقرآن هو الحكم على اللغة.

يقول ابن عاشور:

" فممّا يجب أن يُوقن به أنّ هذا اللّفظ كذلك نزل، وكذلك نطق به النّبي ﷺ وكذلك تلقّاه المسلمون منه وقرؤوه، وكُتب في المصاحف، وهم عَرب خلّص، فكان لنا أصلًا نتعرّف منه أسلوبًا من أساليب استعمال العرب في العطف وإن كان استعمالًا غير شائع لكنّه من الفصاحة والإيجاز بمكان، وذلك أنّ من الشائع في الكلام أنّه إذا أتي بكلام موكّد بحرف (إنّ) وأتي باسم إنّ وخبرها وأريد أن يعطفوا على اسمها معطوفًا هو غريب عن ذلك الحكم جيء بالمعطوف الغريب مرفوعًا ليدلّوا بذلك على أنّهم أرادوا عطف الجمل لا عطف المفردات، فيقدّرَ السامع خبرًا يقدّره بحسب سياق الكلام ومن ذلك قوله في (أنّ الله بريء من المشركين ورسولُه) التوبة: 3، أي ورسوله كذلك، فإنّ براءته منهم في حال كونه من ذي نسبهم وصهرهم أمر كالغريب ليظهر منه أنّ آصرة الدّين أعظم من جميع تلك الأواصر، وكذلك هذا المعطوف هنا لمّا كان الصابون أبعد عن الهدى من اليهود والنّصارى في حال الجاهلية قبل مجيء الإسلام، لأنّهم التزموا عبادة الكواكب، وكانوا مع ذلك تحقّ لهم النّجاة إن آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحًا، كان الإتيان بلفظهم مرفوعًا تنبيهًا على ذلك. لكن كان الجري

علـى الغالـب يقتضـي أن لا يؤتـى بهـذا المعطـوف مرفوعًـا إلاّ بعد أن تستوفي (إنّ) خبرها، إنَّما كان الغالب في كلام العرب أن يؤتى بالاسم المقصود به هذا الحكم مؤخّرًا، فأمّا تقديمه كما في هذه الآية فقد يتراءى للنّاظر أنّه ينافي المقصد الّذي لأجله خولف حكم إعرابه، ولكن هذا أيضًا استعمال عزيز، وهو أن يجمع بين مقتضيي حالين، وهما للدّلالة على غرابة المُخبر عنه في هذا الحكم. والتّنبيه على تعجيل الإعلام بهذا الخبر فإنّ الصابئين يكادون ييأسون من هذا الحكم أو ييأس منهم من يسمع الحكم على المسلمين واليهود. فنبّه الكلّ على أنّ عفو الله عظيم لا يضيق عن شمولهم، فهذا موجب التّقديم مع الرّفع، ولو لم يقدّم ما حصل ذلك الاعتبار، كما أنّه لو لم يرفع لصار معطوفاً على اسم (إنّ) فلم يكن عطفه عطف جملة. وقد جاء ذكر الصابين في سورة الحجّ مقدّمًا على النّصارى ومنصوبًا، فحصل هناك مقتضى حال واحدة وهو المبادرة بتعجيل الإعلام بشمول فصل القضاء بينهم وأنّهم أمام عدل الله يساوون غيرهم. ثمّ عقّب ذلك كلّه بقوله: وعمل صالحًا، وهو المقصود بالذّات من ربط السلامة من الخوف والحزن، به، فهو قيد في المذكورين كلّهم من المسلمين وغيرهم، وأوّل الأعمال الصّالحة تصديق الرّسول والإيمان بالقرآن، ثم يأتي امتثال الأوامر واجتناب المنهيات".

وهذا ورد في الاستعمال اللغوي عند العرب.

أن الجملـة الاسـمية المؤكـدة بـ "إنّ" يجـوز أن يذكـر فيهـا مبتـدأ آخـر غيـر اسـم "إنّ"

وأن يُذكـر خبـر واحـد يكـون لاسـم "إنّ "ويُحـذف خبـر المبتـدأ الثانـي لدلالـة خبـر اسـم "إنّ" عليـه.

أو يحـذف خبـر اسـم "إن" ويكـون الخبـر المذكـور للمبتـدأ الثانـي دليـلًا علـى خبـر اسـم "إنّ" المحـذوف

فالمبتـدأ الآخـر فـي الآيـة و الـذي هـو ليـس اسـما لـ "إن" هـو الصابئـون، فكأنّ الآيـة تـودّ أن تتركـب (أو كان أصـل تركيبهـا كجملـة) علـى هـذا النحـو:

إنّ الذيـن آمنـوا والذيـن هـادوا والنصـارى مـن آمـن منهـم باللـه واليـوم الآخـر فـلا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنـون، والصابئـون كذلـك.

فهنـا نجـد جملتيـن: جملـة بهـا اسـم إنّ و خبرهـا و الأخـرى بمبتـدأ جديـد بـلا (إنّ)

ونلاحـظ أنّ الجملـة انتهـت بعـد (لا يحزنـون) ثـم بـدأت بمبتـدأ جديـد وهـو (الصابئـون)

وحُذف في الآية الكريمة خبرها (وهو كلمة: كذلك)

وقال الإمام الشوكاني:

" والصابئـون" مرتفـع علـى الابتـداء (أي مرفـوع لأنـه مبتـدأ)، وخبـره محـذوف.

والتقديـر: إنّ الذيـن آمنـوا والذيـن هـادوا مـن آمـن منهـم باللـه واليـوم الآخـر وعمـل صالحًـا فـلا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنـون.

والصابئون والنصارى كذلك...

وقـد ألمـح الإمـام الشـوكانى إلـى إضافـة جديـدة خالـف بهـا كلا مـن الخليـل وسـيبويه والزمخشـري،

لأن هؤلاء جعلوا "الصابئون" مقدما من تأخير كما تقدم.

أمـا هـو فجعلـه قـارًّا فـي موضعـه غيـر مقـدم مـن تأخيـر بدليـل قولـه:

" والصابئون والنصارى كذلك."

وهذه إضافة حسنة ومقبولة.

وعليـه يمكـن جَعْـل "النصـارى" مرفوعـة عطفـاً علـى "الصابئـون "

ولا حاجـة إلـى جعلهـا منصوبـة عطفـاً علـى "إنّ الذيـن آمنـوا"

والواقـع أنّ هـذا المذهـب، علـى جملتـه، الـذي ذهـب إليـه جمهور علمـاء البصـرة، وتابعهم فيـه الإمـام الشـوكاني هـو أقـوى مـا أورده النحـاة فـي توجيـه رفـع "الصابئـون" فـي هـذه الآيـة الكريمـة".

(انتهت الاقتباسات).

أسئلة مشروعة

انتهى هذا الجهد المبذول -أعلاه- الذي لاحظناه، والذي يدخلنا في متاهات (قالوا وقلنا)، ثم إدراجه تحت عنوان الإعجاز القرآني!

وعليه، سنسجل الملاحظات التالية:

1. يجدر أن لا يقاس كلام الله - المعجز- على كلام البشر بل العكس هو الأجدر، أي أن يكون كلام القرآن هو ما يقاس عليه نحوًا وصرفًا وإملاءًا، فصاحةً وبلاغة، حتى لو قال بذلك كل علماء الأمة. يقول الشافعي، (لا يقاس إلا على القرآن والسنة وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى). وهنا يحضرني كلام لطه حسين، وهو محق، يوم قال، كلام العرب ثلاث – نثر وشعر وقرآن- مميزًا بذلك كلام القرآن عن غيره.

2. كيف يقاس على الشعر(كل القياسات كانت عليه) في الوقت الذي كان للقرآن كلام واضح عن الشعر أقرب إلى الإدانة،

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ سُورَةُ يسٓ ٦٩

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٢٤

3. ثم إنّ الشعر محل القياس محكوم بضرورة الخروج عن القياس النحوي السائد بقصد الحفاظ على الوزن أو القافية، ولا يصح افتراض أنّ هناك ضرورة تحمل القرآن على ذلك.

ثم لماذا لم يقس على الآية ذاتها وقد وردت بتمامها في سُورَةُ البَقَرَةِ٦٢ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وكذا الأمر في سُورَةُ الحَجِّ ١٧

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ ولم يتجاوز الإعراب عدد أصابع اليد:

(إنّ) حرف مشبّه بالفعل للتوكيد (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب اسم إنّ (آمنوا) فعل ماضي مبني على الضمّ...

والواو فاعل الواو عاطفة (الذين) اسم موصول معطوف على الاسم الأول في محلّ نصب (هادوا) مثل آمنوا (والنصارى والصابئين) اسمان معطوفان بحرفي العطف على الاسم الموصول الأول، منصوبان وعلامة النصب في الأول الفتحة المقدرة على الألف وعلامة نصب الثاني الياء. لأنه جمع مذكر سالم. وكذا الأمر في سورة الحج.

أقول، لو أنهم لم يضعفوا رواية أم المؤمنين عائشة وقول الخليفة عثمان، لوفّروا على أنفسهم وعلينا كل هذا اللف والدوران الذي لا طائل فيه.

إنّ حجتهم في حفظ الله تعالى للقرآن في هذا المقام مردودة، لأن من يحامي عن حفظه من أيدي الكتبة والنساخ لا يخالف مضمون آية الحفظ الإلهي. ولو كان الأمر كذلك لبقي الرسم القرآني على حاله بلا تنقيط ولا تهميز.

فالمعروف أن النقوشات والمخطوطات كانت دون نقاط أو تشكيل، ومع اتّساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول شعوبٌ وثقافاتٌ مختلفةٌ في الدين الإسلامي فقد أصبح كلّ شعب من هذه الشعوب يقرأُ القرآن بالقراءة المناسبة لها، ممّا أثارَ خوفاً بين صفوف المسلمين خَشيةً دخول كلمات أو من تغير شيء في القرآن الكريم عن طريق لفظ أو تشكيل الحروف بما يُناسبهم. فكان هذا الأمر سبباً لطلب عليّ بن أبي طالب من أبي الأسود الدؤلي، القيام بوضع الحركات على الحروف من ضمةٍ وكسرةٍ وفتحةٍ، و وضع النقاط على الحروف وذلك للتمييز بين الأحرف المتشابهة كالباء والتاء والياء وغيرها، حماية وحفظا للقرآن الكريم.

إن هـذه الشـبهات والإشـكالات، دفعـت البعـض إلــى القـول بمـا يلــي:

جـاء فــي مجلـة الأزهـر لشـهر رمضـان سـنة 1370\1950م مجلـد 22 مـا يلــي:

"إن ترتيــب القــرآن فــي وضعــه الحالــي يبلبــل الأفـكار، ويضيــع الفائـدة مـن تنزيـل القـرآن، لأنــه يخالـف منهـج التـدرج التشـريعي، الـذي روعـي فـي النـزول، ويفسـد نظـام التسلسـل الطبيعـي للفكـرة، لأن القـارىء إذا انتقـل من سـورة مكيـة إلــى سـورة مدنيـة، اصطـدم صدمـة عنيفـة، وانتقـل بـدون تمهيـد، إلــى جـو غريـب عـن الجـو الـذي كان فيـه، وصــار كذلـك ينتقـل مـن درس فـي الحـروف الأبجديـة إلــى درس فــي البلاغــة".

وبحسب المدرسة الإخبارية عند الشيعة التي تُقصي القرآن عن المعرفة الدينية، يقول مؤسس هذه المدرسة محمد أمين الإسترآبادي (المتوفى عام 1623) في هذا الخصوص: «وأن القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية، وكذلك كثير من السنن النبوية. وأنه لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام الشرعية النظرية أصلية كانت أو فرعية إلا الروايات". (المحدث الشيعي الأسترابادي- كتاب الفوائد المدنية ص104.)

وقريب من إبعاد العامة مخافة إضلالها، ما جاء في فتوى للشيخ عبد العزيز بن باز: « إن العلماء العارفين بالشريعة المحمدية قد يحتاجون إلى الاطلاع على التوراة أو الإنجيل للرد على أعداء الله، ولبيان فضل القرآن وما فيه من الحق والهدى، أما العامة وأشباه العامة فليس لهم شيء من هذا، وإن وجد عندهم شيء من التوراة أو الإنجيل أو الزبور، فالواجب دفنها في محل طيب أو إحراقها حتى لا يضل بها أحد».

وفي الخلاصة ورغم كل شيء نقول، إن ثبوت القرآن الكريم قطعي يقيني بإجماع الأمة كلها، وأن الذي بين أيدينا الموجود بين دفتي المصحف، هو كلام الله الموحى به إلى النبي ﷺ وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن الترتيب كان بتوقيف من النبي ﷺ.

بواسطة الملاك جبريل، وفيه بيان كل شيء

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ ٨٩

واشتمل على كل شيء وعلى كل علم (عَلمَه من عَلمه، وجَهِله من جَهِله) واشتمل كل حلال وكل حرام.

ورغم كل شيء أيضا، نتساءل، من صرف المسلمين عن القرآن إلى ما دونه فهجروه إلى القيل والقال؟!، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ ٣٠
فعدلوا عنه إلى غيره إلى مجرد قراءة وتغنّ وترديد بالألسن تجويدًا وتلحينًا، والله تعالى يقول:

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ سُورَةُ القِيَامَةِ ١٨

ومـن أوحــى للنــاس بصعوبــة فهمــه واللــه تعالــى يقــول: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ سُورَةُ القِيَامَةِ ١٩ **لكافة الناس، خاصتهم وعامتهم وليس لأهل العلم فقط** ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ ١٣٨، ومن أوحى لهم أن فهم القرآن لابد أن يمر من بوابة فهم الأولين السابقين، والله تعالى يقول في آيات كُثر: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ سُورَةُ القَمَرِ ١٧،؟**!** إنما وَهْم صعوبة فهم كلام الله تعالى لنا، وحيٌ من شياطين الجن، لِصدّ الناس عن كتاب الله، أو هو وحيٌ من شياطين الإنس ليسهل حكم البشر للبشر باسم الله**!**.

فالكتــاب ثابـت ثبـوت قطعـي يقينـي محفـوظ، يحفظـه اللـه تعالــى إلــى أن يــرث الأرض ومــا عليهــا، فعجــز الإنــس والجــن أن ينالــوا مــن القــرآن لأنــه حفـظ بالتدويــن، واســتظهره الآلاف مــن المســلمين بــل الملاييــن علــى مــرّ الزمــن، وأصبـح كذلـك فـي منعـة مـن أن يـزاد فيـه كلمـة أو يـدسّ إليـه حـرف، وإن سـها النّسـاخ والمدونـون ومعتمـدو الروايـات ومدمنوهـا، فـإن التدبّـر وحُسـن الظـنّ والإيمـان يعـود بالحـق إلـى نصابـه.

إشكالات كتابة الحديث وتدوينه

روايات بين الحظر والإباحة

بعد رحيل النبي ﷺ قام أبو بكر ومن جاء بعده بمنع كتابة الحديث، وقد علّل ذلك بأنَّ الرواة بعد رحيل النبي ﷺ تحدثوا بأحاديث اختلفوا فيها، وسيكون الناس بعدهم أشدّ اختلافا، لذلك نهاهم عن الحديث وأوصاهم بأنَّ من يسألهم أن يقولوا بيننا وبينكم القرآن، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.

وذكرت بعض المصادر أنَّ عمر بن الخطاب عزم على جمع أحاديث رسول الله بعد أن استشار مجموعة من الصحابة، ولكن بعد مدة أعرض عن ذلك معللا سبب إعراضه بأنه خاف أن يختلط القرآن بالروايات وأن يترك المسلمون القرآن لانشغالهم بالأحاديث، لذلك نقلت المصادر التاريخية أنَّ عمر أمر ولاته بالاكتفاء بالقرآن ونهاهم عن نقل الروايات والعمل بها والترويج لها.

أسباب الحظر

ذكـر كل مـن المؤيديـن والمعارضيـن لكتابـة الحديـث أدلّـة خاصـة بهم، فأبـو بكـر وعمـر ومـن تبعهمـا مـن علمـاء أهـل السـنّة اسـتدلّوا بروايـات رووهـا عـن النبـي ﷺ وذهبـت جماعـة مـن أهـل العلـم إلـى أن الترتيـب كان بتوقيـف مـن النبـي ﷺ.

فقـد رووا أنَّ النبـي ﷺ قـال: "لا تكتبـوا عنـي شـيئا غيـر القـرآن ومـن كتـب شـيئًا فليمحـه".

وقـد ذكـر العلمـاء عـدة نظريـات - غيـر الروايـات – حـول النهـي عـن كتابـة الحديـث، ومنهـا:

إنَّ النهي عن التدوين جاء لجهل بعض الصحابة بالكتابة.

إنَّ النبـي ﷺ نهـى المسـلمين عـن كتابـة الحديـث لئـلا يختلـط مـع القـرآن.

إن إنكار عمر بن الخطاب على الصحابة روايتهم عن رسول الله، بسبب خوفه من أن ينكلوا عن الأعمال، ويتّكلوا على ظاهر الأخبار، فخشي أن يُحمل حديث على غير وجهه أو يؤخذ بظاهر لفظه، والحُكم بخلافه.

أما المخالفون لمنع كتابة الحديث فقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بروايات كرواية عبد الله بن عمر عندما أوصاه النبي ﷺ بكتابة الحديث، وكذلك الروايات المروية عن النبي ﷺ المؤكدة على ثواب من نقل الأحاديث النبوية، وقد ذكرت بعض الروايات أنَّ النبي ﷺ أجاز لبعضهم كتابة الحديث.

نتائج حظر الحديث

ذكر المحققون أنه ترتب على منع تدوين الحديث عدة آثار سلبيّة، ومنها:

ضياع الكثير من الأحاديث

لقد ضاعت الكثير من الأحاديث بسبب هذا المنع، فقد ذكرت الروايات أنَّ أبا بكر أحرق صحيفة جمعها بنفسه فيها (500) حديث، وما وصل إلى المسلمين من الأحاديث التي رواها أبو بكر (142) حديث فقط، وكذلك الحال مع بقية الصحابة كالإمام علي، وغيره، فلم يصل عن طريقه من أحاديث النبي ﷺ إلا خمسمائة وستة وثلاثون حديثا.

كثرة الأحاديث الموضوعة

قال الشيخ محمود أبو رية وهو يتحدث عن منع تدوين الحديث:... اتسعت أبواب الرواية، وفاضت أنهار الوضع بغير ضابط ولا قيد، حتى قد بلغ ما روي من الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف، لا يزال أكثرها منبثا بين تضاعيف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

انتشار الإسرائيليّات

ذكر العلماء أنه عندما قام الحُكّام بعد رحيل النبي ﷺ بمنع تدوين الحديث قاموا بالمقابل بفتح باب الأحاديث الإسرائيليّة، وذلك بالسماح لأمثال تميم الداري الراهب النصراني، وكعب الأحبار اليهودي، أن ينشروا الأحاديث الإسرائيليّة بين المسلمين، وقد خصّص عمر بن الخطاب لتميم الداري ساعة في كل أسبوع يتحدث فيها قبل صلاة الجمعة في مسجد الرسول، وجعلها عثمان بن عفان على عهده ساعتين في يومين، أما كعب أحبار اليهود، فكان كل من عمر وعثمان ومعاوية يسألونه عن مبدأ الخلق، وقضايا المعاد، وتفسير القرآن إلى غير ذلك.

رفع الحظر عن كتابة الحديث

استمر حظر كتابة الحديث قرنًا كاملًا من بعد رحيل النبي ﷺ الأكرم إلى عصر عمر بن عبد العزيز، فقد أمر هذا الخليفة برفع الحظر عن كتابة الحديث، وأصدر أمرًا بكتابة أحاديث النبي ﷺ، وبالتالي تدوينه.

فصل المقال بين السنة المتيقنة و(قيل وقال)

في نقد المسلّمات

قبل الخوض في موضوع السّنّة، لا بُدّ من التوقف عند بعض المسلمات، أو ما سمّي معلومًا من الدين بالضرورة، والتي اعتاد المسلمون أخذها من أفواه رجال الدين - ثقة بهم وركونًا إليهم - أو من الدعاة المنبثين كالبقل في الحقول، أو من التلمذة بين يدي الفضائيات، على امتداد التاريخ الديني دون مساءلة أو تحقيق، ودون اعتماد منهج متجرّد في البحث والاستقصاء، والمقارنة العقلية بين ما قرّره الفقهاء والمحدِّثون، وما ينكره العقل وتكذبه مناهج البحث العلمي الصحيح.

و الخوض في مثل هذه اللجج لا يكون ذا جدوى إلا إذا صاحبه انزياح عن كل ما قيل في هذا الموضوع، واستقبال البحث بحياد عقلي تام، الأمر الذي يساعد على التخلص من كل الأغلال التي تقيد حركة العقل - ترغيبًا وترهيبًا - إلى ناحية التسليم والرضى والمحاباة، لما أسّسه القدماء من مفاهيم وأحكام صارت- بفعل استحكام العادة وانتشار الخمول والأمية الدينية - إيمانًا راسخًا، وضرورة لا محيد عنها، لا سيما أن المفاهيم الإشكالية ليس لها أصل علمي يعتمد عليه، ولا قاعدة عقلية يُقعّد عليها، وإنما مردها العام إلى الوجدان العام الذي يقدس الشخص والفكرة وغدت تشكل منبعا غزيرا للسلفيين الذين ينطلقون منها لبناء صرحهم الديني والاجتماعي والسياسي، وصارت فيما بعد رافدا أساسيا لثقافة الإقصاء والتكفير واستحلال الدماء والأعراض والأموال، وضمت مجموعة رؤى وتصورات راديكالية لماهية الفرد والمجتمع والغاية من خلق الإنسان والمصير الذي ينتهي إليه.

لقد أشاعت هذه المسلمات في المجتمعات الإسلامية نهج الأحادية الرافضة لكل أشكال التعددية العقدية والفكرية. لأجل ذلك وَجَب تبيين خطلها، وهتك أستارها، من أجل مجتمع عقلاني، تسوده روح الحرية والتسامح والتجديد المستمر، وذلك انسجامًا مع الحديث النبوي، "إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها."

وكما مرّ معنا في الفصل السابق، فقد أسس علماء الحديث علمًا اصطلحوا على تسميته علم مصطلح الحديث، وهو العلم الذي يتناول الأخبار المنقولة عن النبي ﷺ وممارساته الدينية وأقواله وأفعاله وتقريراته، وكذا ما كان موقوفا على أصحابه، وقسموها أقساما بين صحيح وحسن يحتج به في العقائد والأحكام، أو ضعيف يُعملونه في الأخلاقيات وفضائل الأعمال، أو موضوع مكذوب يطرحونه ويحذرون منه. ووضعوا لكل قسم منها كتبًا ومجاميع ومسانيد، كصحيح البخاري وسنن الترمذي ومسند أحمد وموضوعات ابن الجوزي والصاغاني... وعرفوا الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي محمد ﷺ: بالحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا. (مقدمة ابن الصلاح).

ومعلوم أن سلسلة الإسناد هم الرواة الذين رووا الحديث. ولقد وضع له المحدثون علمًا سموه "الجرح والتعديل"، أقل ما يمكن أن يوصف به، أنه وجداني بحت، ومزاجي، وقريب من حد الغيبة والنميمة، وتفتيش قلوب الرواة، وهنا تكمن مغالطات المحدثين في تجريحهم وتعديلهم للرواة، وبالتالي تصحيح أو تضعيف الخبر اعتمادا على حكم فلان من الناس على فلان من الناس، كأن نقول أخطأ الثوري أو أصاب، ووفّق الحاكم أو لم يوفّق

وفـلان ثقـة ثبـت لأن ابـن معيـن شـهد لـه بذلـك، وعـلان كـذاب متـروك لأن يحـي القطـان اتهمـه... دون الإرتقـاء بالبحـث والتفكيـر إلـى نظـرة أعمـق، إذ أن المنهـج المعتمـد فـي قبـول الخبـر مـن عدمـه، لا يختلـف فـي جوهـره عـن منهـج المؤرخيـن القدمـاء وكتـاب السـير والملاحـم، ورواة الأسـاطير والإسـرائيليات التـي تمتلـئ بالمبالغـات والخرافات التـي تعـوّد أن يقتـات منهـا الوعـاظ والقصاصـون.

إنّ موقـف الشـك لا يتنـاول صـدق الرواة أوسـهوهم وحسـب، وإنمـا المحدثيـن والمصنفيـن أيضًـا... والسـؤال، كيـف السـبيل إلـى معرفـة الصحيـح مـن الضعيـف إذا كان المنهـج المتبـع هـو توثيـق رجـل لرجـل حسـب هـواه وقناعاتـه الذاتيـة. أهكـذا تؤخـذ الأحـكام والعقائـد التـي تقضـي فـي مصائـر النـاس الدنيويـة والأخرويـة؟!

كيـف نواجـه اليـوم، العالـم، بأحاديـث منسـوبة لرَسُـولُ الرحمـة ﷺ: مثـل حديـث **"أُمِـرْتُ أَن أُقاتِـلَ النَّـاسَ حَتَّـى يَشْـهَدُوا أَن لا إِلـهَ إِلاَّ اللَّـه وأَنَّ مُحَمَّـدًا رَسُولُ اللَّـهِ، ويُقِيمُـوا الصَّـلاةَ، وَيُؤْتُـوا الـزَّكاةَ، فَـإِذا فَعَلـوا ذلـكَ، عَصَمُـوا مِنِّـي دِمَاءَهُـمْ وأَمْوَالَهـم إلّا بحَـقِّ الإسـلامِ، وحِسـابُهُمْ عَلـى اللَّـه"؟!**

أو حديث **"جُعل رِزْقي تحتَ ظِلِّ رُمحي"؟!**

أوحديث **"من بدل دينه فاقتلوه"؟!**

أوحديث**" نُصرت بالرعب مسيرة شهر"؟!**

ألا تشكل هذه الأحاديث مخالفة لقول الله تعالى في الآيات:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ٢٥٦

والآية: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ سُورَةُ يُونُسَ ٩٩

والآية: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ سُورَةُ النَّحۡلِ ١٢٥

والآية: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (سُورَةُ فُصِّلَتۡ ٣٤)

والآية: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ ١٥٩

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ سُورَةُ الكَهۡفِ ٢٩

وبعد،

كيف يقيم الله سبحانه، الحجة على الناس بأخبار وأحاديث لا تتمتع بأدنى مصداقية يقينية- بمعارضتها للنصوص القرآنية - لمجرد أن البخاري أو مسلمًا أو غيرهما، ممن صنفوا في الحديث، وثّقوا رواة هذه الأحاديث...؟! والأنكى من ذلك أنهم لم يُعملوا مبضع جرحهم وتعديلهم في الصحابة وتابعيهم باعتبار أنهم منزهون عن الكذب، فالقرآن لم ينص على عدالة أي صحابي، بل أقرّ بأن لا عصمة لأحد من الناس من غير الأنبياء. ولذلك يروي لنا القرآن والسيرة والتاريخ عن مخالفات كثيرة للصحابة... عن خلافاتهم وصراعاتهم.

إن المقام هنا، يستوجب التوقف أمام هذه الأخبار والروايات التي ازدحمت بها مؤلفات المسلمين وتأسس على ضوئها دين بعقائده وشعائره وحدوده وشرائعه ومفاهيمه ويجدر بنا في هذا السياق تحديدا القول إن السنة القطعية المتيقنة وليس روايات (وقال وقيل) هي ما يجب أن تحتل من الدين مكانتها إلى جانب القرآن، وأن يكون لها الحيز الواسع في مدار الشريعة، لاعتقادنا أنها جاءت مفصلة وشارحة ومبينة لما أجمله القرآن، ومعظم الأحكام الشرعية، والطقوس التعبدية، والنظم الحكمية، والتوجيهات الروحية والوعظية.

نشأة السنة

إن الفترة التي أمضاها الرسول منذ بدء دعوته حتى وفاته، والتي لم تتجاوز الربع قرن شكلت المرحلة التعليمية والتطبيقية الأساس للسنة.

وكان الحفظ والاعتماد على الذاكرة ديدن العرب قبل وبعد الإسلام إلا ما استوجبته حالات وأوضاع بعينها، إذ لم تكن الكتابة ولا أدواتها معتمدة أو رائجة إلا بقدر ما تسمح به ظروف مجتمع غلبت عليه البداوة والجهل بالكتابة والقراءة.

و من هنا نستطيع القول إن السنة نشأت ملازمة للقرآن طيلة أيام وسنوات الدعوة التي بدأت من مكة ثم انتشرت في أنحاء جزيرة العرب. وقد هيأ الله كل الأسباب لحفظ دينه و سنة نبيه المتمثلة بالشرح التفصيلي و البيان العملي التطبيقي لكتاب الله عز و جل، مترافقة بتوجيه الرسول البعوث من القراء والحفظة إلى حيث انتشار الدعوة، ليعلموا الناس كتاب الله ويفقهوهم في الدين، و بالتالي كيفية إقامة شعائر الإسلام وأركانه، منذ ما قبل الهجرة. حيث كان مصعب بن عمير أول سفير للرسول إلى المدينة ليفقه الأنصار ويعلمهم دينهم، ويدعو الناس إلى الإسلام ويهيّء الظروف ليوم الهجرة. واستمرت هذه البعوث إلى ما بعد الهجرة وحتى آخر أيام الرسول فقبل حجة الوداع، بعث أبا موسى ومعاذ بن جبل، إلى اليمن وقبله بعث الرجيع إلى هذيل في صفر من السنة الرابعة من الهجرة كما أرسل بعثه إلى أهل نجد حيث أمّر عليهم المنذر بن عمرو، من بنى ساعِدة. وقد داوم الخلفاء الراشدون من بعده على إرسال الحفاظ والقرّاء لتعليم القرآن. ولنا أن نقدّر أن هذه البعوث حملت معها ما كان ميسراً من كلام الله تعالى ومن سنة الرسول {صلى الله عليه وسلم} و ما كان من فرائض وحدود.

السُنَةَ المُتَيَقَنْة قطعية الثبوت عن رسولنا {صلى الله عليه وسلم} وأعظم صفاتها اتفاقها، بالضرورة، مع القرآن وعدم تعارضها مع أحكامه، لأنها في أصلها مصدر لبيان مجمل القرآن، وبها تُشرع الأحكام وهي التي عُمِلّ بها منذ زمن الرسول واستمرت الأمة على العمل بها إلى اليوم بلا روايات ولا أحاديث ولا (قيل و قال)، ولا يتطرق إليها الشك أو الظن لأنها تعبدية لله ولا تتعلق بأحكام فيها شبهة منافع أو مصالح للدين السياسي أو الاجتماعي. ولم يقع الخلاف فيها بين المسلمين، ولا علمائهم، وبها اشتهر واستفاض عمل المسلمين إلى اليوم، وما سوى ذلك مما جاء في كتب ما يسمى السنن، أو الصحاح أو المسانيد أو المجاميع، للروايات والأحاديث و(قيل وقال، وسمعت) وروايات ليست سُنة وتبقى مجرد أخبار وآثار ومرويات وقع الخلاف فيها للسعي للكمال والترغيب والترهيب، ولا ترتقي لأن تشرع بها أحكام أو يبنى عليها اعتقاد.

لا شك أن القرآن هو أصل الدين، وأصل السنة المتيقنة ومناطها، والطعن فيما سواها من روايات ليس طعنا، لا بالدين ولا بالرسول، إنما هو طعن بالرواة الذين هم بشر غير معصومين عن الاشتباه أوالنسيان أو الهوى أوالانحياز إلى السياسة والسلطان و التعصب للمذاهب والفِرق، وما أكثرها، ناهيك عن انقطاع الصلة - بحكم تقادم الزمن- بين الرسول ومن روى عنه الأخبار والأحاديث وانتشار الوضع والواضعين وصعوبة التمييز بين السقيم والصحيح بسبب إهمال تدوينها لنحو قرنين من الزمان.

وبعد... فإن عرض بعض المسلمات التي اعتاد المسلمون أخذها من أفواه رجال الدين على امتداد التاريخ الديني، دون مساءلة أو تحقيق أواستقصاء، ودون عقد المقارنة العقلية بين ما قرروه، ثم بين ما ينكره عليهم العقل وتأباه مناهج البحث العلمي، أقول، يشكل كل ذلك منبعًا غزيرًا للسلفيين و رافدًا أساسيًا لثقافة الإقصاء والتكفير واستحلال الدماء والأعراض والأموال.

أمثلة على دين الموتى

إنّ الروايات والأحاديث والأقوال الظنية، المسماة: سنّة... والتي قررنا أنها مُحْتَملة على أن الرسول- صلى الله تعالى عليه وسلم- قَالَها، أو أنه لمْ يَقُلها، و اختلفت أقوال العلماء في قبولها وإثبات الحكم بناءًا عليها أو رَدهَا، سنعرضها وفق التالي:

الغسل من الجنابة هناك رواية (الماء من الماء) – أي إذا أنزل المني وجب الغسل بالماء- ورواية عائشة- رضي الله تعالى عنها- (إذا التقى الخِتنان) وجب الغسل.

روايات قطع الصلاة

روي أنه (يقطع الصلاة المرأة، والحمار، والكلب الأسود) قالت عائشة – رضي الله تعالى عنها –: (ساويتمونا بالكلاب والحمير، كنت أمدّ رجليّ ورسول الله يصلي، وإذا هوى للسجود كففتهما)

وروي: (أنه على المصلي أن يرد المار أمامه وهو يصلي حتى لو قاتله) وغير ذلك كثير.

بسبب هذه الروايات والأحاديث، تجد -أحيانًا- أنّ للعالم الفقيه أو المحدث أو المفسر أكثر من رأي وقول في حكم المسألة الواحدة، بل حتى أنك تجد عند عالم واحد أكثر من رواية وقول في حكم شرعي واحد، وهذا نتيجة عدم صحة إحدى الروايات عنده، فيأتي حكمه مخالفًا لرواية أخرى، لأن عنده رواية غيرها أصحّ منها. وعالم آخر يحاول الجمع بين الروايات: فيكون له حكم مخالف لظاهر الروايات، وعالم آخر يرجح رواية على رواية ويحكم بإحدى الروايات لتقدمها من حيث الزمن وتأخر الأخرى، أو وجد له رواية أصح، أو تغير فهمه للرواية والحديث بسبب تغير الزمان أو المكان، كمذهب الشافعي القديم، حين كان في العراق ومذهبه الجديد لما رحل إلى مصر. بل اختلفت أقوال وآراء بعض تلاميذ العلماء عن أقوال وآراء شيوخهم، بسبب تصحيحهم لروايات لَم يكن يرى شيوخهم صحتها، كاختيارات أبي يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وكذا اختيارات ابن تيمية وابن القيم وغيرهما، من أتباع مذهب ابن حنبل، وهكذا هي الحال في كل المذاهب. فالاختلافات كثيرة وكبيرة، و لا تكاد تخلو منها مسألة من المسائل.

روايات متأرجحة

من يأخذ برواية أسماء يرى جواز كشف الوجه والكفين، ومن يأخذ برواية عائشة يرى حرمة كشف الوجه، فمن جمع يفرق بين السفر والإقامة، ومن رجح بالزمن لتأخر رواية عائشة وتقدم رواية أسماء. حتى في الإحرام، ومن رجح رواية أسماء في أن هذا كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، لها، أهمل رواية عائشة واعتبر هذا فعل منها. وذهب كُلُّ صاحب رأي لتأييد رأيه بروايات أخرى ظنية مثلها كلها، قيل، وروى، وسمعت. بينما الثابت يقينًا وقطعًا كلام الله تعالى، الذي ليس فيه تحريم لكشف الوجه والكفين.

وكـذا مثـال سـجود السـهو فـي الصـلاة مـن سـهى وجـب عليـه سـجود السـهو، لأنـه تواتـر عنـه صلـى اللـه تعالـى عليـه وسـلم ذلـك، فيسـجد مـن سـهى قبـل أو بعـد السـلام، لكـن بسـبب الروايـات قِيّـل: قبـل السـلام، وقيّـل: بعد السـلام، وقِّيـل: السـهو بنقـص قبـل السـلام، وقيّـل: السـهو بزيـادة بعـد السـلام، وقيِّـل: السـهو بنقـص قبـل السـلام، وقيِّـل: للجمع بين الروايـات والأحاديـث للنقـص والشـك بالنقـص قبـل السـلام، وللزيـادة والشـك بالزيـادة بعـد السـلام، إذًا المتواتـر وجـوب سـجود السـهو، لـو سـجد السـاهي فـي الصـلاة قبـل أو بعـد السـلام جـاز لـه، لأنـه أخـذ بالوجـوب. وهكـذا... دوامـة لا تنتهـي مـن الروايـات والأحاديـث والأقـوال المسـماة سـنّة. ولـم تتفـق الأمـة أو غالبيتهـا علـى ثبوتهـا عـن رسـول اللـه، بـل اختلفـت الأقـوال باختـلاف الروايـات والأحاديـث.

الآثار المحبطة لروايات الموتى

لقد تمادى محبّو اتباع الأموات وعيش الحاضر بعقلية الماضي وأسطورة فضل الماضي على الحاضر و المستقبل، وفضل الموت على الحياة رغم أن رواياتهم تقول إن المتأخرين هم أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتقدمين أخوة رسول الله، وإن عمل الواحد من المتأخرين يفوق عمل خمسين من الصحابة رضوان الله عليهم.

لقد وصل الأمر بمقدسي الروايات إلى القول بقفل باب الاجتهاد، وأن الاجتهاد في النوازل والأحداث والوقائع يكون، من خلال آراء وأقوال وفتاوى القرون الأولى، حتى القرن الخامس، ففي أوائل القرن السادس الهجري ظهرت الدعوة إلى غلق باب الاجتهاد، وصار التعصب للمذاهب والطوائف دينًا وعقيدة، وظهر الإرهاب الفكري والتجريم بالزندقة والكفر لمن لا يتوافق مع المذهب والطائفة، واستمر ذلك حتى يومنا هذا، قتلا وتفجيرا للأبرياء بذريعة تفسيق عامة المسلمين.

وبلـغ التعصـب لمذاهـب الأئمـة إلـى حـدود منـع الخـروج عـن أقوالهـم وتأصيلاتهـم المدونـة فـي كتبهم وكتـب أتباعهم، وأطلقـوا تلـك الدعـوة (غلـق بـاب الاجتهـاد) حتـى يقطعـوا الطريـق أمـام مـن يجتهـد فـي فهـم النصـوص، ويسـتنبط أحكامًـا تخالـف مـا قالـه الأئمـة السـابقون، وآراء وأفهـام مشـايخهم.

يكفـي أن تسـمع هـذه الأيـام خطـب الوعـاظ والمشـايخ أو النظـر فـي الأحـكام القضائيـة الصـادرة مـن المحاكـم الشـرعية، لتـرى أنهـا مسـببة بقـول أو رأي لابـن تيميـة، أو ابـن القيـم، أو ابـن قدامـة، أو عبدالبـر، وصـار الجميـع عجـزة عـن النظـر فـي كلام اللـه تعالـى، والاسـتنباط منـه تبعـا للأحـداث والمستجدات فصـاروا سـجناء فهـم الأوليـن.

أقصـد فـي ذلـك أحـكام التفريـق بيـن الـزوج والزوجـة- مثـلًا - لعـدم الكفـاءة فـي النسـب، أو التشـدد فـي تطبيـق حـق الخلـع للمـرأة، وغيـر ذلـك الكثيـر كترويـج روايـات التحريـم والتفسـيق المتناقضـة باللعـن للنسـاء إن هـن تزيـن لأزواجهـن – النامصـة والمتنمصـة والواشـمة – ولعـن الملائكـة لهـن إن هـن رفضـن الجمـاع مـع أزواجهـن، مـع احتمـال طلـب السـجود للـزوج إذا سـمح بـه الـزوج.

مع أن الواجب هو النظر والتدبر لفهم كلام الله تعالى بحسب ما فتح على الناس من فتوح علمية وتقنيات ووسائل اتصال، حيث لم يبق مفهوم التصوير على ما هو عليه، ولم يبق تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال على ما هو عليه، ولا الموسيقى والغناء على ما هما عليه وبمفاهيم الزمن الأول أو القرون الأولى، مع العلم أنه لا يوجد نص مقطوع به من كلام الله ولا من رسوله على تحريم ما حرمه الأولون ولا أتباعهم من محبي ومريدي منهج الأموات، لذلك اختلفوا في حرمة التصوير، والموسيقى، وإسبال الثياب لما دون الكعبين، وحرمة حلق اللحى، والقزع، وكشف المرأة وجهها.

فَكُل تحريم أو حكم من الأحكام مختلف فيه، وكذا كل ترغيب أو ترهيب، أو دعوى خلافة أو ثناء على بلد كـ (الشام واليمن)، أوعلى حاكم كـ (فاتح القسطنطينية)، أو على عرق كـ (العرب والفرس)، أو على قبيلة كـ (سليم)، أو فئة من الناس، أو طائفة، أو تفضيل زمن على زمن، أو بشر على بشر، أو كفاءة في النكاح لغير الدين، أو تمييز، أو امتياز لأهل سلطة وسلطان كـ (الأئمة من قريش)، أو كإقالة الوجهاء وأصحاب السلطة، عثراتهم أو روايات عن الخلافة، وأمثال ذلك من الروايات والأحاديث التي لم يسمعها إلا فرد أو أفراد من الناس، ليست من السنة في شيئ – ولا يبنى عليها حكم.

روايات التطرف والكراهية وأثرها على الإسلام والمسلمين

هنـاك روايـات وأحاديـث وأقـوال يترتـب عليهـا حكـم أو حـد من حـدود اللـه تعالـى لـم تصـل للجميـع، أو علـى أقـل تقديـر لَـم يسـمح بتدوينهـا وتناقلهـا، إِذْ كيـف يكـون هنـاك حكـم وشـرع مـن اللـه تعالـى ولـم يسـمع بـه إلا فـرد أو فـردان أو حتـى أفـراد مـن المسـلمين، ثُـمّ تُـدَون بعـد قرنيـن تقريبًـا مـن وفـاة صاحبهـا – صلـى اللـه تعالـى عليـه وسـلم – وهـذا يسـري علـى كُل الروايـات والأحاديـث السـمعية الظنيـة التـي لا تفيـد العلـم، بـل تبقـى فـي بـاب الاحتمـال والشـك، ولا يبنـى الديـن ولا تشـريع الأحـكام علـى ظـن وشـك واحتمـال، ولا علـى أنـه (قِيّـل أو لـم يُقَـل)، بـل إن الروايـات والأحاديـث تكـون أحيانًـا سـببًا فـي بـذر التشـدّد والتطـرّف فـي النفـوس. تكفـي الإشـارة هنـا، إلـى روايـة (مُـرُوا أَوْلَادَكُـمْ بِالصَّـلَاةِ وَهُـمْ أَبْنَـاءُ سَـبْعِ سِـنِينَ، وَاضْرِبُوهُـمْ عَلَيْهَـا، وَهُـمْ أَبْنَـاءُ عَـشْرٍ وَفَرِّقُـوا بَيْنَهُـمْ فِـي الْمَضَاجِـعِ)، وقـد تبـث فـي النفـوس

الازدراء كـ (تضييق الطريق على غير المسلم، وعدم مبادءة غير المسلم بالتحية) حتى انتقل هذا السلوك المتشدد بين المسلمين أنفسهم فصار من يدَّعون أو يحسبون أنفسهم (مطاوعة وملتزمين) لا يبدؤون بتحية غير الملتزم بالدين حسب المظاهر والشكليات بما تمليه عليهم أفهامهم وأفكارهم، ونسوا كلام الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سُورَةُ الحُجُرَاتِ ١٠

و أصّلوا بموجب هذه الروايات والأحاديث لروح الكراهية تجاه الآخر فقالوا: إنّ الأصل في علاقة الدول تقوم على الحرب لا السلم.

وما ينسب للأئمة عند الشيعة، والأولياء عند الصوفية أدهى وأمّر وأسوأ قيلا، إذ ادّعوا العصمة لمن لم يعصمهم الله، ولم يبعثهم رسلاً ولا أنبياء، بل اتخذوهم أربابًا من دون الله، ليتزلفوا بهم إلى الله

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾
سُورَةُ الزُّمَرِ ٣

وهذه الروايات والأحاديث والأقاويل هي دين المصالح، ودين السياسة والسلطة والحكم، ودين أهل المذاهب والطوائف، وتجار الدين في تاريخنا، وقد تفاقم أمرها في زماننا وأصبحت أكثر تشظيًا، وتشعبت إلى سلفية، وإخوانية، وجامية، وسرورية، وتطورت الصوفية إلى حقانية وبقانية، والتشيع إلى إيراني وعربي، وفيالق وحراس، والتشيع العربي إلى صدري وأحزاب للمعارضة، تجرأت على اسم الله- جل وعلا – فتسمت بحزب الله، وأنصار الله، وكلٌّ اصطنع لنهجه روايات وأحاديث وأقوال: كروايات (تركت فيكم كتاب الله وسنتي)، ورواية (تركت فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي)، ورواية: (عليكم بكتاب الله وسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)، وغيرها الكثير.

كلٌ يدعي الوصل والوصال، وأنه صاحب السنة والعترة، بينما المتواتر والمتفق عليه -سنّة وشيعة وطوائف- بين أيديهم، كتاب الله ليس إلا...

بل وصل البعض إلى التجرؤ على علم الغيب، والتنبؤ بالمستقبل، وبحروب مستقبلية، وقسم الدنيا بأمها وأبيها إلى فسطاطين فسطاط مؤمنين، وفسطاط كافرين، وأنه المؤمن وغيره من خلق الله كافر يجوز قتله، ونحره كالشاة.

وكل أهل مذهب وطائفة بات ينتظر مَهدِيّه ليقتل به الآخرين، لأهل السنة مهدي ينتظرونه، ولأهل التشيع مهدي ينتظرونه، وكذلك لكل دجال يتعوذون منه. والغريب أن الروايات في ذلك كله، مؤصل وجودها في الإسرائيليات.

تشابهت الروايات، وتعددت لكن اليقين والإيمان واحد، كتاب الله وسنة نبيّه المتيقنة والقطعية الثبوت.

أمـا مـا سمّي (سنّة) مـن روايـات وأحاديث ظنيـة الثبـوت، فأكثـر مـا يجـب أن تكـون للاسـتئناس بهـا، ولا يبنـى عليهـا حكـم، لكـي لا توقـع النـاس فـي الحـرج والتكليـف بمـا لا يطـاق، فالإسـلام ديـن يسـر كمـا فـي الآيـة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾

سُورَةُ البَقَرَةِ ١٨٥

ومخالفـة الفطـرة، كتحريـم الاختـلاط واختـلاق الروايـات والأحاديـث التـي تجعـل العقـل فـي حالـة مـن الانفصـام والدغمائيـة والعيش فـي المتناقضـات، فيعتقد حرمة الشـيء، ويجـوّز لنفسـه فعله، مثل الذين يحرّمـون الاختلاط بالروايات والأحاديث، ثُـم يُحلِلُونـه لأنفسـهم، مـع الخـدم مـن العامـلات والسـائقين، وفـي الأسـواق والمستشـفيات، لأنهـم حرّمـوا مـا ليـس حرامـا بـل حرّمـوا ما هـو حـلال بالفطرة، كمـن حرّموا زراعــة العنــب، والنخيــل حتــى لا تُتَخــذ خمـرًا وسـكرًا، ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾

سُورَةُ النَّحۡلِ ٦٧

ومن ذلك تحريم التصوير بشكل عام بالروايات والأحاديث، وأنه من الكبائر، كرواية "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة"، ويقال لهم: "أحيوا ما خلقتم". وكرواية "إن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون" وغيرها من الروايات، ثُمَّ اضطر المحرّمون لتخفيف التحريم بالتفريق بين ذوات الأرواح وغيرها، وبين التصوير الفوتوغرافي وغيره، وبين التصوير لما هو ضرورة كالوثائق الرسمية من بطاقات الهوية وجوازات السفر، وصور الحكام على العملات، وما لا ضرورة فيه... وهكذا، كل تحريم يُبنى على روايات وأحاديث ظنية، ينتج عنه سوء ظن، وطعن بعلم الله تعالى و يوقع في الحرج والتكليف بما لا يطاق، وهذا ما لا يمكن أن يقع في دين الله وشرعه.

خلاصات واستنتاجات

السنّة المتيقنة: سماتها واختصاصاتها

السُنَّةَ المُتَيَقَّنْة قطعية الثبوت عن رسولنا {صلى الله عليه وسلم} وهي مصدر بيان لمجمل القران والمتوافقة معه، و بها تشرع الأحكام والتي عُمِلّ بها من زمن الرسول واستمرت الأمة على العمل بها إلى اليوم بلا روايات ولا أحاديث و(قيل وقال)، ولا يتطرق إليها الشك أو الظن لأنها تعبدية لله ولا تتعلق بأحكام فيها شبهة منافع أو مصالح للدين السياسي أو الاجتماعي.

والسنَّة المُتَيَقَّنْة، قطعية الدلالة، بمعنى أن لا يحتمل النص فيها إلا معنى واحدًا، كالأرقام في آيات المواريث، وسائر المحرّمات، ومثلها كل ما فسّره النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – عمليًا كالصلاة وسائر العبادات.

وهـي التـي لـم يقـع الخـلاف فيهـا بيـن المسـلمين، ولا بيـن علمائهـم، وغالـب إجمـاع الفقهـاء عليهـا، أو مـا اشـتهر واسـتفاض عمـل المسلمين بهـا، وأمـا مـا سـوى ذلـك، ممـا يسـمى بكتـب السـنن، أو الصحـاح أو المسـانيد أو المجاميـع الروايـات والأحاديـث و(قيـل وقال، وسـمعت ورأيت) ليسـت سُـنة بـل تبقـى مجـرد إخبـار وآثـار ومرويـات وقـع الخـلاف فيهـا سـعيا للكمـال أوالترغيـب والترهيـب، ولا ترتقـي لأن يشـرع بهـا أحـكام أو يبنـى عليهـا اعتقـاد.

أما المتيقن من سُنَةّ رسولنا فإنه يتمثّل في الآتي:

الصلوات:

وإنها خمس مرات في اليوم والليلة بأوقاتها وعدد ركعاتها:

1. الفجر ركعتان جهرية القراءة من طلوع الفجر إلى شروقها.

2. الظهر أربع ركعات بإخفات القراءة من زوال الشمس إلى أن يكون ظل الشيء مثله.

3. العصر أربع ركعات بإخفات القراءة من ظل الشيء مثليه إلى اصفرار الشمس.

4. المغرب ثلاث ركعات جهرية القراءة من مغيب الشفق إلى منتصف الليل.

5. يحتسب نصف الليل من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر، فنصف ما بينهما هو آخر وقت العشاء (وهو نصف الليل) مثال: الشمس تغيب الساعة (5) والفجر يؤذن الساعة (5) فمنتصف الليل هو الساعة (11) مساءً وان غابت الشمس الساعة (5) والفجر يطلع الساعة (6) منصف الليل يكون الساعة (11.30) وهكذا....

6. الجمعة ركعتان جهرية القراءة وخطبتين بعد الزوال وللمنفرد أربع ركعات بإخفات القراءة.

- أما كيفية الصلاة وما يقال فيها:

استقبال القبلة ورفع اليدين بتكبيرة الإحرام ثم قراءة الفاتحة وما تيسر من القرآن إن تيسر، ثم ركوع وقول سبحان ربي العظيم، ثمّ رفع من الركوع وقول ربنا لك الحمد، ثمّ سجود وقول سبحان ربي الأعلى، ثُمَّ رفع من السجود وجلوس وقول ربي اغفر لي، ثمّ سجود وقول سبحان ربي الأعلى ثمّ رفع من السجود وقيام، وإتيان بركعة مماثلة فجلوس وتشهد بقول التحيات لله والصلوات والطيبات، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيسلّم، فتمّت ركعتين،

وهكـذا يكـرّر بعـدد الركعـات، للصـلاة المفروضـة خمس مـرات، هـذا مـا يـؤدي بـه المـرء مـا افترضـه اللـه تعالـى عليـه، وأمـا ما جـاء فـي الروايـات والأحاديـث و(قيـل وقـال وسـمعت ورأيـت)، إن صـح عـن رسـولنا صلـى اللـه تعالـى عليـه وسلم فهو للاستئناس بـه للكمـال، بالإطالـة فـي القـراءة، أو تكـرار التسـبيح، للحـد الأدنـى مـن الكمـال تكـرار 3 مـرات والكمـال 7 مـرات وأعلـى الكمـال 11 ومـا فـوق 21.

والصـلاة الكفائيـة ركعتـان كـصلاة العيديـن، والاستسـقاء ومثلهـا ركعتـان لكـن يُكبـر فـي الركعـة الأولـى تكبيـرة الإحـرام ثـم يُكبـر بعدهـا سـت تكبيـرات وفـي الثانيـة خمـس تكبيـرات غيـر تكبيرتـي الركـوع.

وصـلاة الخسـوف والكسـوف، ركعتـان فـي كل ركعـة قيامـان وقراءتـان وركوعـان وسـجودان.

والصلاة على الميت، الصلاة فيها وقوفًا ثم التكبير وقراءة الفاتحة. ثم يكبر ثم يقرأ التشهد ثم يكبر ثم يدعو للميت ولجميع المسلمين ثمّ يكبر وننهي الصلاة بالتسليم.

المضمضة: والاستنشاق ومسح الأذنين للوضوء، كَما هي الحال في عمل المسلمين اليوم.

الأذان والإقامة للصلّاة بكيفيتها وصيغتها المعهودة اليوم.

في الصلاة، سجدتان خفيفتان كَالسجود في صلاة الفريضة

كيفية الصيام، من دخول هلال شهر رمضان بالامتناع عن كُلّ ما يصل عمدًا إلى الجوف كَالأكل والشرب، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس حتى دخول هلال شوال.

إخراج زكاة الفطر، من يوم 28 رمضان حتى ما قبل صلات العيد، صاع بما يعادل اليوم 2.50 إلى 2.75 كيلو جرام من طعام أهل كل بلد بحسبه.

شعائر الحج، البدء من الإحرام من الميقات ثم الطواف سبعة أشواط والصلاة ركعتان، ثمّ السعي سبعة أشواط ثم تقصير أو حلق، وتحللٌ من الإحرام لغير المفرد بالحج، ثم إذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي حجة يحرم المتمتع بالحج.

ويتوجه إلى منى والصلاة فيها جميع الصلوات ابتداء من صلاة ظهر اليوم الثامن من ذي الحجة، ويقصر الحاج الصلاة الرباعية، كمن يبقى في منى حتى طلوع شمس يوم التاسع من ذي الحجة، ومن ثم التوجه إلى عرفة والوقوف فيها بعد طلوع شمس اليوم التاسع من ذي الحجة حيث يصلى فيها الحاج صلاة الظهر والعصر فيجمع ويقصر، ويدعو في عرفة ويذكر الله حتى مغرب الشمس حيث يتوجه بعدها للمبيت في مزدلفة، ثم التوجه إلى منى قبيل طلوع شمس اليوم من ذي الحجة لرمي جمرة العقبة بسبعة حصيات يكبر عند رمي كل واحدة منها، ثم يذبح الحاج هديه إن كان عليه هدي، ثم يتحلل من إحرامه ويحلق رأسه أو يقصره. ثم يقوم بالطواف حول الكعبة طواف الإفاضة، ثم السعي بين الصفا والمروة لمن كان متمتعًا فيكون بذلك قد تحلل من إحرامه تحللًا يبيح له جميع محظورات الحج حتى النساء، ثم يبيت في منى حتى حلول اليوم الحادي عشر من ذي الحجة، لرمي الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، ثم إذا أراد أن يتعجل في حجه نفر من منى أو بات فيها إن شاء حتى حلول يوم الثالث عشر من ذي الحجة حيث يفعل المتأخر ما يعله من قبل من رمي الجمرات، ثم ينهي الحاج أعمال ومناسك الحج بطواف الوداع. وهذا ما عليه أغلب عمل الأمة وأفضلها وهو التمتع فالمتمتع يؤدي عمرة كاملة وحجة كاملة.

أنصبة الزكاة

النقـدان، النصــاب وهـو القـدر الـذي إذا وصـل إليـه المـال وجبـت فيـه زكاة النقديـن فـي الذهـب والفضـة، عنـد بلـوغ النصـاب، ونصـاب الذهـب: عشـرون مثقـالا، ونصـاب الفضـة خمـس أواق، بمـا يعـادل اليـوم نصـاب الذهـب 85 جـرام مـن الذهـب الخـاص مـن عيـار 24 أو 97،14 جـرام مـن الذهـب عيـار 21 أو 113،33 جـرام مـن الذهـب عيـار 18 أمـا الفضـة النصـاب هـو 595، جـرام مـن الفضـة عيـار 99،9. فيقـاس عليهـا مـا يعادلهـا مـن الأوراق النقديـة اليـوم وزكاتهـا ربـع العشـر.

وتتمثـل عـروض التجـارة فـي كل مـا اعـد للبيـع والشـراء بقصـد الربـح مـن الأمـوال، والأراضـي، والأطعمـة، والحيوانـات، والآلات، والسـيارات، والمعـادن، والملابـس، والمبانـي وغيرهـا مـن الأشـياء كالأسـهم. وهـي أهـم أمـوال الـزكاة وأوسـعها، واكثـر تجـارة النـاس فـي هـذه العـروض هـذه زكاتهـا كالنقديـن.

زكاة البهائم:

نصـــاب الإبـل (5) مـن الإبـل وفيهـا شـاة وفـي (10) مـن الإبـل شـاتان وفـي (15) ثـلاث شـياه، وفـي (20) أربـع شـياه، وفـي (24) فَمَـا دُونَهَـا مِـنْ الْغَنَـمِ فـي كُلِّ (5) شَـاةٌ، فـإذا بلغـا (25) فيهـا بنــت مخــاض فــإذا بَلَغَــتْ (25 إلــى 35) فيهَــا بنْــت مَخَــاضٍ أنْثَــى، فــإذا بَلَغَــتْ (36 إلــى 45) فيهـا بنْـتُ لَبُـونٍ أنْثَـى فـإذا بَلَغَـتْ (46 إلـى 60) فِيهــا حِقَّــةٌ الْجَمَــلِ، فــإذا بَلَغَــتْ (61 إلــى 75) فيهـا جَذَعَـةٌ، فـإذا بَلَغَـتْ (67 إلـى 90) فيهـا بنْتـا لَبُــونٍ، فــإذا بَلَغَـتْ (91 إلــى 120) فِيهَــا حِقَّتَــانِ فــإذا زَادَتْ علــى (120) فِــي كُلِّ أرْبَعِيــنَ بِنْــت لَبُــونٍ وَفِــي كُلِّ خَمْسِين حِقَّــة، و(4) مِـنْ الإبِـل لَيْـسَ فِيهَـا زكاة فـإذا بَلَغَـتْ (5) مِـنْ الإبِـلِ فَفِيهـا شَــاةٌ.

ونصــاب البقـر 30، فيهـا تبيـع لـه سـنة و 40 مسـنة لهـا سـنتين .

ونصـاب الغنـم 40 شـاة، فيهـا شـاة واحـدة، الزمـاة فـي بهيمة الأنعـام أن تكـون سـائمة، وهــي التــي ترعـى الـكلأ المبـاح أكثـر السنة، وأمـا التـي تعْلَـف فـلا تجـب فيهـا الـزكاة إلا أن تكـون للتجـارة .

زكاة الزرع:

الزكاة في الحبوب والثمار قوله تعالى:

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾

سُورَةُ الأَنْعَامِ ١٤١

تجب في الحبوب والثمار فيما يكال ويدخر، سواء كان قوتًا أم لم يكن قوتًا، عاما في كل ما يخرج من الأرض. فتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي كُلِّ يُكَالُ وَيُدَّخَرُ، كَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَاللَّوْزِ والْفُسْتُقِ وَالْبُنْدُقِ. فالحبوب والثمار تجب فيها الزكاة، بشرط أن تكون مكيلة مدخرة، فان لم تكن كذلك، فلا زكاة فيها فتجب الزكاة في الحبوب والثمار، إذا بلغت النصاب، وهو خمسة أوسق، والوسق ستون صاعًا، والصاع أربعة أمداد، والمد حَفْنة بكفي الرجل المعتدل مقدار الخمسة أوسق بالكيلو جرامات يساوي (653) كيلو جراما.

ويختلف قدر الزكاة الواجب اخراجها من الزروع والثمار باختلاف طريقة السقي، فان كان يُسقى بلا كلفة ولا مؤونة، كما لو سقي بماء المطر، أو العيون، ففيه العشر، وان كان يسقى بكلفة ومؤونة، كما لو احتاج آلة ترفع المياه ففيه نصف العشر.

- تحريـم لبـس الذهـب والحريـر للرجـال إلا فـي حـال الضـرورة .

- حُرمـة الجمـع بيـن الزوجـة وعمتهـا أو خالتهـا، مـا دامـت زوجتـه معـه إلا إن فارقهـا لمـوت أو طـلاق جـاز الـزواج من عمـة أو خالـة الزوجـة.

- المسـح علـى الخفيـن، أو الجوربيـن مدتـه يـوم وليلـة مـن بـدء المسـح بعـد الحـدث للمقيـم وثلاثـة أيـام للمسـافر، صفـة المسـح أن تكـون أصابـع يديـه مبلولتيـن بالمـاء يمررهـا علـى أصابـع رجليـه إلـى سـاقه، يمسـح الرجـل اليمنـى، والرجـل اليسـرى، ولا يكـرر المسـح.

- طريقـة غسـل الميـت وتكفينـه ودفنـه، فيغُسـل كمـا المؤمـن الحـي يُغسـل جميـع جسـده مـن رأسـه إلـى قدميـه ويعـم بالغسـل مـرة واحـدة، هـذا هـو الواجـب، ثـم يكفـن فـي ثـوب يسـتره جميعًـا مـن رأسـه إلـى قدميـه، قطعـة مـن الثـوب تسـتره،، ويكـون القبـر لحـدا وليـس شـقا، ويُجْعَـل الميـت فـي قبـره علـى جَنْبِـهِ الأيمـن، وَوَجْهُـهُ قَبَالَـةَ القبلـة.

- غسـل الرجليـن فـي الوضـوء إلـى الكعبيـن كمـا عليـه عمـل المسـلمين اليـوم فـي وضوئهـم للصـلاة.

- الصلاة بأي مكان من الأرض، خلاف الأمم الأخرى الملزمة بالتعبد فقط في أماكن العبادة.
- ترك الحائض الصلاة ولا تقضي ما فاتها وتترك الصيام وتقضي ما أفطرت من أيام.
- رخصة الصلاة لأكثر من فرض بوضوء واحد لمن لم يحدث
- الرخص في العبادات في السفر والمرض، والمطر.
- إقامة الحدود.
- البسملة عند الأكل والشرب
- حرمة أكل لحم الحمر الأهلية
- بقاء مفاتيح الكعبة بوعد الرسول عند "بني شيبة" الذين توارثوا مفتاح الكعبة بعد الإسلام منذ اكثر من 16 قرنًا

ما تواتر بالمعنى واشتهر، واستفاض خبره يؤمن به في الجملة، ولا يلزم منه إيمان وتصديق بالتفاصيل.

ولا يلزم من إنكاره كفر، وخروج من ملة الإسلام والمسلمين

كَـ الشفاعة والدجال وعذاب القبر.

الدلالة الظنيّة سماتها واختصاصاتها

يشمل اختصاص الدلالة الظنية كل ما يترتب عليه وجوب الإيمان به بالمجمل، كالغيبيات وأحداث الآخرة، والجنة والنار، والحدث المستقبلي، كيأجوج ومأجوج، فهو اختبار للمؤمن ولمدى قوة إيمانه وتصديقه، وهو من باب المتشابه يؤمن به ويؤخذ به على ظاهره ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٧

و تكون الدلالة الظنية، فيما لا يترتب عليه تكليف بحكم أو مُساءلة في الآخرة، وإنما في الأمور الدنيوية الخاضعة للاجتهاد والتدبر، لمعرفة سنن الله تعالى في خلقه والاستفادة منها، ومما سخّر الله تعالى في الكون لعباده، فهو من العطاء الدنيوي لجميع الخلق: مؤمنهم

وكافرهم، من سبق إليه فهو أحق به من غيره، فكل الاكتشافات والاختراعات في كل المجالات مباحة لكل الخلق } كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَآءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا{ الإسراء: 20، كالأرض هل هي كروية أم مسطحة، لا توجد دلالة قطعية عليها فلا يترتب على ذلك تكليف.

غير أن تجار الدين وأصحاب المصالح والهوى - لتبرير أفعالهم – عمدوا إلى تنزيل الآيات في غير مواضعها وعلى غير ظاهرها، وجعلوا تأويلها هو مراد الله تعالى، بل جعلوها هي الدين، كأنْ جعلوا أصل العلاقة بين المسلم وغيره القتل والقتال والحرب، فتأولوا آيات القتال والجهاد لتوافق منهجهم في ذبح الآخرين، مستندين تعسفًا، على آية السيف- كما سموها - لقتل كل من يخالفهم في دينهم أو مذهبهم أو طائفتهم، وقالوا بنسخها لكل آية تدعو للسلم والموادعة، مهملين ما جاء في السورة نفسها،﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ ٣٦

وأن نقاتل المشركين، كما يقاتلوننا.

و دعوى النسخ لا دليل عليها.

إن آيات القتال في القرآن الكريم جاءت مبينة السبب الذي من أجله أوذِن في القتال، وأنه إما لدفع الظلم أو قطعا للفتنة، وحماية للدين، وأن الباعث للقتال في الإسلام هو رد الاعتداء وليس المخالفة في الدين، فأصل اشتقاق الإسلام من السلم والسلام والسلامة والمسالمة، وان الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي السلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ ﴿٩٤﴾

إن الله تعالى يقول:﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ سُورَةُ الأَنْعَامِ ﴿١٥١﴾، والحق أن تقتل في الحدود وفي حالات الاعتداء التي توجب رد العدوان. لو تدبر الناس كتاب الله تعالى وعرفوا آياته لم يُهيمن عليهم رجل دين أو واعظ بالتصرف بآيات القتال حسب هواه و زعمه أنها عامة لكل مخالف، فيصنع الإرهاب والتطرف، والقتل باسم الدين.

ومن ذلك أيضًا تنزيل الآية في سورة التوبة في غير موضعها، ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ سُورَةُ التَّوۡبَةِ ﴿٥﴾، فتوهموا وأوهموا فقالوا إن هذه الأية في المرتد، وإنها دليل على أن من لم يتب لا يخلى سبيله، فوضعوا حدًّا للمرتد بأن يستتاب، فإن تاب خُلِي سبيله، وإلاّ يقتل، فَاخْتُلِقوا حدا للقتل ليس في كتاب الله تعالى، وسُمي حدّ الردة ليستقيم لهم حديث ظني الثبوت (من بدّل دينه فاقتلوه). مع أن كلام الله تعالى صريح في آيات الكتاب بأن الدين اختيار لا إكراه، بل هناك آيات كثيرة في الكتاب عن الردة، ولَمْ يذكر فيها عقوبة دنيوية، وإنما عقوبات أخروية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ ﴿١٣٧﴾

﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ﴿٢١٧﴾

هذا بالإضافة إلى أن هناك روايات كثُيرة عن الذين ارتدوا زمن النبي- صلى الله تعالى عليه وسلم- ولم يقم عليهم حدّ ردة، وهذه الروايات معارضة لرواية (من بدّل دينه فاقتلوه)، فعدم التفريق بين قتال المرتدين المحاربين، والمرتدّ غير المحارب (الردّة الفردية الفكرية) جعل أهل التشدّد والتطرّف يقدمون رواية واحدة ظنية على صريح آيات الكتاب، وتجاهلوا الروايات والأحاديث المعارضة لرواياتهم.

تحميل النصّ أكثر مما يحتمل ظاهره ليتفق مع الروايات والأحاديث لتوافق مراد الله تعالى، حسب زعمهم، كما أشرنا سابقاً في تحريمهم الموسيقى، والاختلاط، ووجوب تغطية الوجه بروايات وأحاديث وجعلها الحَكَم على ما بينت آيات الكتاب، وصرف ظاهر الآيات ليوافق الروايات والأحاديث التي يختارونها، مع أنها معارضة بروايات وأحاديث أخرى ظنيّة مثلها وأقرب مثال:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِى لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

سُورَةُ لُقۡمَانَ ٦

ليس في الآية نصٌّ يدل على تحريم الموسيقى والأغاني، لكنهم حملوه على الروايات والأحاديث، فقالوا إن الآية في الموسيقى والأغاني وإن ابن مسعود أقسم على ذلك، بينما الآية وحسب الروايات نزلت في الشعر، مع العلم أن الروايات والأحاديث متعارضة بين التحريم والإباحة، لذا اختلفت الأقوال والآراء في الموسيقى والأغاني.

وكذلك حملوا آيات الحجاب، وقرار النساء في البيت ما لا تحتمل، وقالوا بتحريم الاختلاط، وتأولوا ذلك برواية (لَكُنْ حافة الطريق)، وبأنه خصّص للنساء في المسجد بابٌ.

وكذا رواية (خير صفوف الرجال أولها وخير صفوف النساء آخرها): لأنهم يصلّون مع بعض، ولم ينظروا للروايات المعارضة لروايتهم، بل لم ينتبهوا لروايتهم أنّ الصلاة كانت مختلطة، وإلا ما فائدة أن تكون خير صفوف الرجال أولها، وخير صفوف النساء آخرها.

و لا يوجد آية واحدة تحرّم الاختلاط، بل ترِك على الفطرة، وبقي على الأصل وهو الإباحة، بل هناك آيات توحي بجواز الاختلاط وهي أولى من الروايات والأحاديث، فلنتأمل ونتدبر من يجوز لهم الأكل جميعا أو أشتاتًا، في كلام الله تعالى:

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

سُورَةُ النُّورِ ٦١

نشير هنا إلى التشابه بين اعتماد أهل الكتاب على تفاسير الأحبار والرهبان ورواياتهم وترك الأصل الذي هو كتب الله تعالى لهم، فتشابهت للمسلمين مشناة كمشناة يهود، (مشناه بالعبرية המשנה) كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري "نِّاه" ومعناها بالعربية (يُثنِّي أو يكرر) وأصبح معناها (يدرس)، ثم أصبحت الكلمة تشير بشكل محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، وهي أول ما ألف في التوراة الشفهية، وتتضمن الشرائع ومجموعة واسعة من الشروح والتفاسير وأقوال وشروح الأحبار ورواياتهم وهو ما يسمى التلمود، وتتناول أسفار العهد القديم (التوراة) وهناك آراء مختلفة حول بداية صياغة المشنا، لكن تم الاتفاق على أن تحريرها وصياغتها النهائية تمّت في بداية القرن الثالث، بواسطة الرابي يهودا الناسي وحكماء جيله.

خاتمة

وفي الختام نشير إلى ما ذكره السيوطي عن تهاوي الروايات والأحاديث في ألفيته في باب رواية الأكابر عن الأصاغر، والصحابة عن التابعين، "وحيث لم يستطع أعداء دين الله من كل أهل ملة وأهل نحلة ومذهب وطائفة أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم، وذلك بأن يدسّوا إلى أصوله التي قام عليها، ما يريدون من أساطير وخرافات، وأوهام وترهات، لكي تنتهي هذه الأصول وتضعف. فلما عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم لأنه قد حفظ بالتدوين، واستظهره آلاف من المسلمين، وأنه قد أصبح بذلك في منعة من أن يزاد فيه كلمة أو يدسّ إليه حرف اتجهوا إلى التحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فافتروا ما شاءوا أن يفتروا عليه".

وبالتالي فإن الروايات والأحاديث بما فيها من الشك والتشكيك وسوء الظن، قد أفسدت الغايات ومقاصد الدين، وحوّلت المظاهر والشكليات إلى دين، وأهملت حقوق الإنسان والسياسة والحكم – وجعلت لحرية الدين والفكر والرأي، حدّا شرعيًا، متجاوزة لروح الإسلام في سماحته ويسره والتي أرى حسن الختام بالآيات الدالة على ذلك:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾

سُورَةُ البَقَرَةِ ١٨٥

﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ
وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾

سُورَةُ الكَهۡفِ ٨٨

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ ٤

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ ٧

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي
ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾

سُورَةُ القَصَصِ ٧٧

وصدق رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في حديثه حين "جاءه رجل مِن أهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ولَا يُفْقَهُ ما يقولُ، حتَّى دَنَا، فَإِذَا هو يَسْأَلُ عَنِ الإسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، خَمْسُ صَلَوَاتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ. فَقالَ، هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وصِيَامُ رَمَضَانَ. قالَ، هلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ وذَكَرَ له رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الزَّكَاةَ، قالَ، هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ، لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ، فأدْبَرَ الرَّجُلُ وهو يقولُ، واللَّهِ لا أزِيدُ علَى هذا ولَا أنْقُصُ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ."

الراوي: طلحة بن عبيدالله المحدث: البخاري المصدر: صحيح البخاري .

لله تعالى الحمد لا معبود إلا هو،،

د. عبدالله الصِّرامي

أسال الله تعالى القبول والأجر والثواب

نبذة عن المؤلف

عبدالله بن صالح بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الصرامي

مواليد الرياض - المملكة العربية السعودية

عام 1383 هجري 1963 م

بريد إلكتروني

dr.alsaram@gmail.com

رقم جوال

966556227755

- خريج كلية الشريعة بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1407 هجري
- درجة الماجستير في الفقه المقارن من المعهد العالي للقضاء بالرياض - جامعة الإمام عام 1410 هجري
- عمل في مجال الاستشارات والمحاماة، وحضور الجلسات والترافع في القضايا لدى المحاكم التابعة لوزارة العدل، بجميع درجاتها، وفي ديوان المظالم، ومكاتب وهيئات الفصل في المنازعات العمالية والتجارية، والمصرفية حتى عام 1412.
- التحق عام 1412 هجري بالعمل الأكاديمي بكلية الملك خالد العسكرية محاضر
- 29/4/ هجري ابتعث للحصول على درجة الدكتوراة من المعهد الأعلى بجامعة الزيتونة بتونس في العلوم الإسلامية منجزًا أطروحة دكتوراة في موضوع "مفردات المالكية في كتاب المعاملات"
- تمت المناقشة في 20/11/1418 هجري بتقدير مشرف جدًا وتم معادلة الشهادة في ذات التخصص من وزارة التعليم العالي بالقرار رقم 15/3/1419
- أستاذ مساعد في 27/4/1419 هجري
- أستاذ مشارك 26/1/1427 هجري
- عمل متعاونا في مجال الاستشارات وصياغة العقود، والعمل (عضو) في اللجان الثقافية والمجالس العلمية.
- ساهم في دورات في سرعة التعليم.
- تقاعد بناءًا لطلبه التقاعد المبكر بعد أن عمل لما يقارب 30 سنة في الحقل الأكاديمي بكلية الملك خالد العسكرية.

المؤلفات

- التمثيل السياسي في ضوء الفقه المقارن
- مفردات المالكية في المعاملات
- الإنسان حقوق وحريات
- حقوق الإنسان الاجتماعية من المنظور الإسلامي والإعلان العالمي
- العلاقات الإنسانية في الإسلام
- الشريعة وأسباب الاختلاف
- شهادة القاذف في الفقه الإسلامي
- العمليات الجراحية التجميلية في الفقه الإسلامي
- حكم الربا بين المسلم وغير المسلم في الفقه الإسلامي
- حكم سجود التلاوة للسامع.

المحتويات